

كل الأجيال تعاني

تحتل المعاناة المعيشية للمواطنين حيزاً كبيراً، إن لم يكن الأكبر، مما يُنشر على وسائل التواصل الاجتماعي وحتى الصحافة من مواقف وأخبار، فضلاً عما يدور في مجالس الأهالي وندوات الجمعيات السياسية ومؤسسات المجتمع المدني، ومناقشات مجلس النواب، ما يشير إلى تفاقم هذه المعاناة بشكل غير مسبوق، دون أن تلوح في الأفق بوادر الحد منها، رغم ميل الجهات الرسمية إلى التقليل من حجمها، بإيراد أرقام وبيانات تعوزها الدقة والصواب، وإطلاق وعود عن خطوات مقبلة للنهوض بأوضاع المواطنين وحل ما يواجهونه من مشاكل، لكن التجربة تبرهن على أنها مجرد وعود لا خطوات فعلية لجعلها واقعاً، فسرعان ما تتبدد، وتتكشف عن أوهام.

وأوجه معاناة المواطنين كثيرة، تتصل بعدة ملفات؛ بينها مشكلة السكن مع تزايد أعداد من ينتظرون دورهم للحصول على مسكن أو قرض يعينهم على شراءه، وازدياد عدد سنوات الانتظار، وبينها أيضاً تراجع مستوى الخدمات الطبية في المستشفيات والمراكز الصحية الحكومية، قياساً إلى ما كانت عليه الحال قبل سنوات، لكن أهم ملفين معيشيين يشغلان الناس هما ملف البطالة الآخذة في الارتفاع في أوساط الشباب، وخاصة خريجي الجامعات منهم، والذين يمثلون نسبة مرتفعة جداً، وملف أوضاع المتقاعدين الآخذة، هي الأخرى، في التراجع، خاصة بالنظر لارتفاع نسبة التضخم، فضلاً عن ارتفاع ضريبة القيمة المضافة، التي تثقل كاهل متدني الأجور وأصحاب الرواتب التقاعدية المتواضعة.

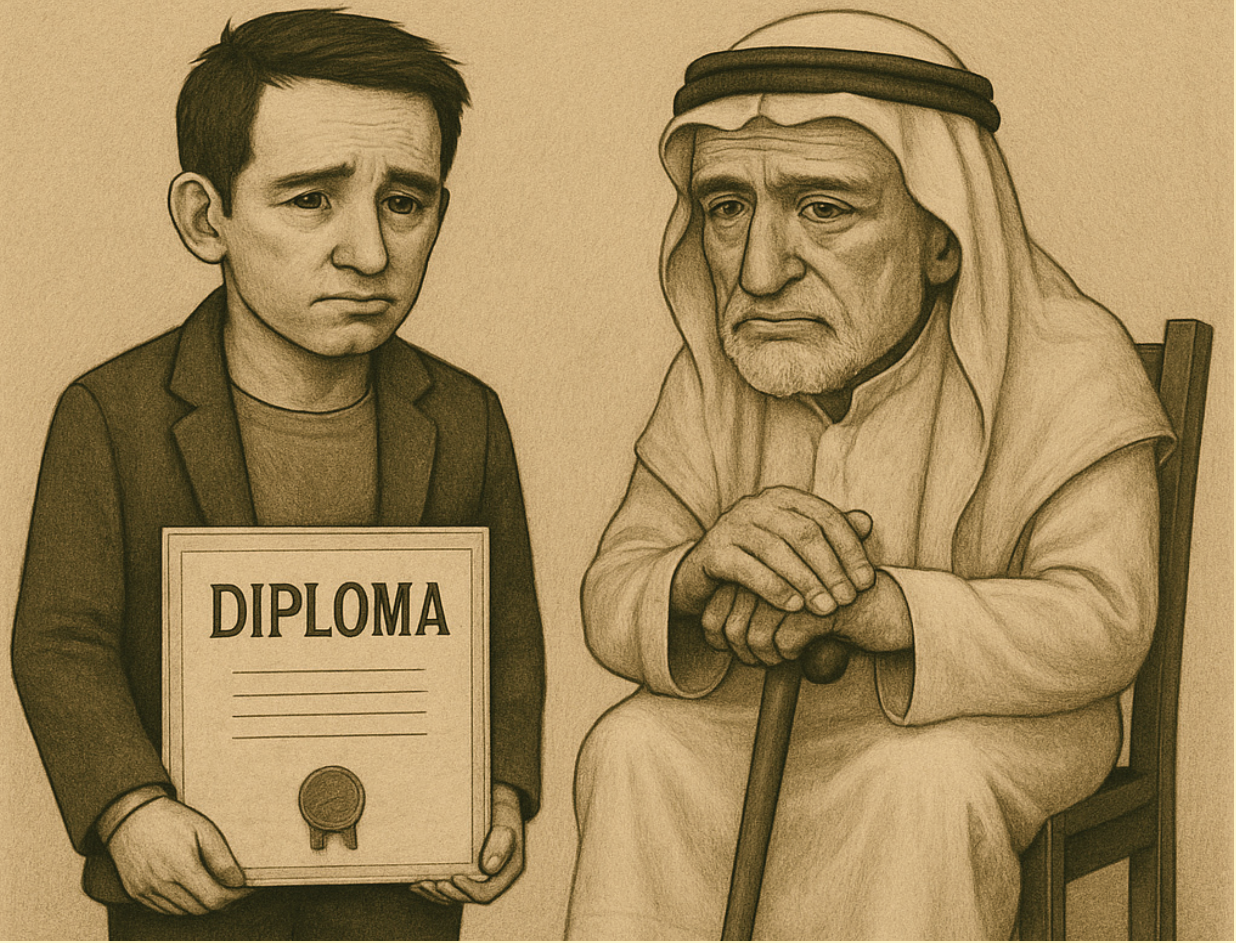
يشير هذان الملفان من معاناة المواطنين، إلى أن أعباء الهم المعيشي واقعة على مختلف الأجيال بدون استثناء، ففي حين يعاني الشباب من البطالة وانسداد الأفق بوجه فرص العمل، يعاني المتقاعدون أصحاب المعاشات المحدودة، والتي لا تفي بالحد الأدنى من ضرورات العيش الكريم، من شظف العيش، خاصة وأن هذه الفئة العمرية تعاني بحكم تقدم السن من المتاعب الصحية، التي تتطلب رعاية صحية دائمة لم تعد المستشفيات الحكومية قادرة على تأمينها بالسرعة والكفاءة المطلوبتين، ما يضطر المرضى لدفع مبالغ فوق طاقتهم للمستشفيات الخاصة.

مسؤولية الدولة في بلد ليست فقيرة كالبحرين تأمين كل الخدمات الضرورية، وبالصورة اللائقة، لمواطنيها من كل الأعمار في المجالات المختلفة: التعليم والصحة والعمل وضمان حياة جيدة للمتقاعدين الذين أفنوا عقوداً من أعمارهم في خدمة وطنهم ومجتمعهم، وبات من حقهم أن يكافأوا على ما قدموه بعيش كريم في ما تبقى من حياتهم.

التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 211 السنة 23 - يونيو 2025

خريجون بلا عمل .. متقاعدون بلا أمل



«التقدمي»
يحيي عيد
العمال

التقدمي يهنئ بالذكرى الثمانين ليوم النصر على النازية



حيا المنبر التقدمي في بيان له الذكرى الثمانين ليوم النصر على النازية في التاسع من مايو 1945، مشيداً بالتضحيات الكبيرة التي قدمتها الشعوب في سبيل القضاء على الفاشية والنازية، والتي أسهمت في تحرير العالم من قبضة الأنظمة الدكتاتورية خلال الحرب العالمية الثانية.

وأشار البيان إلى أن هذا النصر التاريخي، الذي دفع شعوب الاتحاد السوفيتي ثمنه الباهظ بنحو 28 مليون شهيد، شكل منعطفاً تاريخياً مكن الحركات التحررية والعمالية في أنحاء العالم من النهوض ومقاومة الاستعمار، مما أسهم في تأسيس الأحزاب الشيوعية والاشتراكية في العديد من الدول.

وأكد التقدمي في بيانه على أهمية وحدة الأحزاب اليسارية والعمالية في مواجهة عودة النزعات الفاشية في بعض دول أوروبا، حيث تسعى هذه القوى لإعادة إحياء الأيديولوجيات المتطرفة تحت شعارات مختلفة، بهدف خلق النزاعات والتأثير على استقرار المجتمعات.

كما ندد البيان بسياسات الإبادة الجماعية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، داعياً المجتمع الدولي، والأمم المتحدة ومجلس الأمن بشكل خاص، إلى الضغط على إسرائيل لوقف هذه الجرائم، وتمكين الشعب الفلسطيني من إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وفقاً للقرارات الدولية ذات الصلة.

الشويخ يدعو إلى فرض ضرائب على أرباح الشركات الكبرى



دعا النائب الدكتور مهدي الشويخ إلى فرض ضرائب على أرباح الشركات التي تتجاوز 50 مليون دينار سنوياً، مشيراً إلى ضرورة استكمال المنظومة التشريعية لتحقيق العدالة المالية. وأشاد الشويخ بالاتفاقية الثنائية بين البحرين وسلطنة عمان لمنع الازدواج والتهرب الضريبي، داعياً إلى تفعيل هذه الاتفاقيات لتحقيق عوائد أكبر للاقتصاد الوطني. وأكد الشويخ أن فرض ضرائب على الشركات الكبرى سيعزز الإيرادات الحكومية ويقلل من الاعتماد على الديون العامة.



فضفضة

الأثر
الباقي

عيسى الدرازي

ما الغياب في حضرة من هم أكبر من الغياب وعصاة عليه، مهما حاول عبثاً إلا أنهم باقون بقاء النخل والبحر في سرديّة لا تنتهي محكومة بالبقاء. من هؤلاء المخلدون في النفس والذكرى، الأستاذ المربي العمّ العزيز إبراهيم الجمري (أبو خليل) - الرجل الذي خطّ بحضوره بصمة لا تمحى، ورسم بمواقفه أثراً يبقى. هو شخصية يستحيل أن يتخطاها من يلتقيه أول مرة ولو كان لقاءً عابراً، يترك في النفس أثراً باقياً وظاهراً لا يشغله غيره، حاضراً في العقول ككلمة حكيمة.

في منزلهم القديم في منطقة البديع، كانت لديه مكتبة واسعة تحتضن عوالم مختلفة، هو أول ما شدني إليه، ذلك الطبع القارئ، المثقف الذي تتحدث عنه رفوف الكتب بصخب هادئ تماماً كتيارات مياه البحر.

عرفته أول مرة عبر صداقتي مع ابنه خليل، كان ذلك في أواخر التسعينيات حين كنا طلاباً في المرحلة الإعدادية. توثقت تلك الصلة مع انتقالنا إلى المرحلة الثانوية، حيث جمعنا ذات التخصص العلمي في مدرسة النعيم. لو حسبت تلك السنوات، لفاقت عقدين من الزمان، كان خلالها أبو خليل حريصاً دائماً على أن نكون الأفضل والأجدر، مقدماً لنا الكثير من النصائح والتوجيهات، منها ما كان لطيفاً ومنها ما جاء حازماً، كل حسب ما تقتضيه اللحظة والموقف. ومع مرور السنوات، تحول أبو خليل من معلم وموجه إلى رفيق حزبي داعم. كان حضوراً ثابتاً في لجان التقدمي وفعالياته ومؤتمراته العامة، مشاركاً بحجم ثقل شخصيته ومكانته ووقاره. كان رمزاً للثبات والالتزام، مؤمناً بأن المبادئ لا تتغير وإن تبدلت الأزمنة، وأن الكلمات الصادقة تبقى كالنجوم، تهدي الحائرين وتنير الدروب.

رحيله ليس غياباً، بل حضور أعمق وأبعد أثراً. فمثله لا يغيب، بل يظل حاضراً في الذكرى، حياً في القلوب، خالداً في الأثر. يبقى اسمه في طيات الزمن، شاهداً على أثر لا يمحي ولا ينسى، أثر طيب نقي، يبقى ما بقيت الذكريات، أثراً باقياً.

سلمان : ضرورة إصلاح سوق العمل وحماية البحرة



طالب عضو كتلة «تقدم» النائب الأول لرئيس مجلس النواب عبدالنبي سلمان بإجراء إصلاحات جذرية في سوق العمل، وضبط تصاريح العمالة الأجنبية وتعزيز سياسات البحرة لحماية فرص العمل للمواطنين البحرينيين.

وأكد سلمان خلال مداخلة في جلسة مجلس النواب، أن مشروع تعديل المادة (4) من قانون تنظيم سوق العمل يمثل خطوة ضرورية للحد من الفوضى في سوق العمل، داعياً إلى إلزام الخطط الوطنية بوضع سقف قانوني محدد لعدد تصاريح العمل الممنوحة للأجانب، بدلاً من الإبقاء على النص الجوازي الحالي، مشيراً إلى أن العمالة السائبة باتت ظاهرة منتشرة في الشوارع، مما يزعج البحرينيين في أبسط المهن، متسائلاً عن جدوى الإجراءات الحالية في

الحد من هذه الظاهرة، مؤكداً أن العمالة الأجنبية ما زالت تنافس البحرينيين في أبسط الوظائف مثل غسيل السيارات وسيارة سيارات الأجرة، مما يفرض ضرورة تنظيم جاد لسوق العمل.

الحد من هذه الظاهرة، مؤكداً أن العمالة الأجنبية ما زالت تنافس البحرينيين في أبسط الوظائف مثل

مئوية المسرح البحريني... ومسيرة الحراك الفني



في تطور مسيرة المسرح المحلي والخليجي أيضاً، فله العديد من المؤلفات في هذا المجال. والشخصية الثانية التي تناول القصاب دورها هو الفنان الراحل إبراهيم بحر، أحد أبرز مؤسسي مسرح الصواري، الذي جمعته بالمحاضر زمالة عمل وصداقة ممتدة، وقد وصفه بالعاشق للمسرح، فكان الممثل والمخرج، والمؤلف والناقد، والمتابع للنشاط المسرحي محلياً وخليجياً.

نظمت اللجنة الثقافية في التقدمي، ندوة بعنوان "مئوية المسرح البحريني... ومسيرة الحراك الفني"، حاضر فيها الناقد المسرحي د.عباس القصاب، وأدارتها الكاتبة منار السمّك، حيث ركّز المحاضر على شخصيتين كانا لهما دوراً بارزاً في المسرح منذ بداية سبعينيات القرن الماضي، وهما الناقد والأديب والأكاديمي الراحل الدكتور إبراهيم غلوم الذي ترأس مجلس إدارة مسرح أوال لدورتين متتاليتين، وعرف بأثره النقدي الكبير



عادل المتروك



جانب من المهرجان الخطابي

«التقدمي» يحيي عيد العمال بتكريم النضال العمالي واستحضار قضايا الطبقة الكادحة



نظّم المنبر التقدمي، ممثلاً بقطاع النقابات العمالية والمهنية، احتفالاً بمناسبة عيد العمال العالمي، في مقره. شارك في الاحتفالية أعضاء وأصدقاء التقدمي وممثلو الاتحادات والنقابات العمالية، إلى جانب عدد من الشخصيات السياسية والنقابية والإعلامية، وذلك في أجواء مفعمة بروح النضال والتضامن العمالي.

افتتح الحفل بنشيد «طريقنا أنت تدري»، الذي جسّد بروح كلماته قوة الإرادة العمالية والتصميم على تحقيق العدالة الاجتماعية، تبعته كلمات وقصائد شعرية أُلقيت بالمناسبة، استحضرت نضالات العمال وتضحياتهم عبر التاريخ.

المتروك: الوحدة العمالية

وألقى الرفيق عادل متروك، الأمين العام للمنبر التقدمي، كلمة بالمناسبة استهلها بتحيةٍ للعمال والكادحين في البحرين وكل العالم، مشيداً بدورهم في بناء الحضارات والدفاع عن حقوقهم في وجه الظلم والاستغلال. وقال متروك: «في كل أول مايو، نستحضر ذكرى رفاق غادرونا إلى مستقرهم السرمدي، كانوا هنا بيننا، يحملون راية النضال، واليوم يظلون معنا بروحهم ونضالاتهم».

الاجتماعية. وقال: «لقد أصبحت الشركات الاحتكارية اليوم تُحدّد حياتنا اليومية، من أسعار الطاقة إلى نظم الضرائب والسياسات الاقتصادية، بل وحتى الذوق العام والثقافة الفنية.

وشدّد متروك على أن الطبقة العاملة تواجه اليوم تحديات غير مسبوقة، في ظل سيطرة الشركات الاحتكارية والتغول الإمبريالي الذي يسعى لفرض نمط حياة يلبي مصالحه الخاصة، متجاهلاً القيم الإنسانية والعدالة

إنهم جزء من وجودنا الروحي، رفاق زرعوا بذرتنا الأولى في درب الكفاح، ونحن على خطاهم سنمضي، مستنيرين بالقدرة الخلاقة للنظرية الماركسية في فهم التناقضات ودراساتها».



أخبار التقدمي



محمد فتيل



عباس عياد



ياسر الحجيري



نبيل المحاسنة



إيمان شويطر

يُستخدم التخويف والتمييز لتشويه دورهم الريادي».

لأولوية البحرية

وفي كلمة ألقاها النقابي عباس الديري، الأمين العام المساعد للأنشطة والمشاريع بالاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، تمّ تسليط الضوء على شعار هذا العام «البحرنة أولوية لعدالة اجتماعية مستدامة»، مؤكداً على ضرورة منح العامل البحريني الأولوية في سوق العمل، وتعزيز دوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بعيداً عن هيمنة الشركات الكبرى وسياسات الخصخصة.

من جانبه أشار النقابي ياسر الحجيري رئيس نقابة عمال ألبا إلى أن الأول من مايو مناسبة نستلهم منها دروس التاريخ ونستعرض من خلالها واقعنا العمالي الراهن، وإن أي توجه نحو «إصلاح» اقتصادي لا يُراعي العدالة الاجتماعية، ويُقصي صوت العامل ومشاركته، هو توجه محكوم عليه بالفشل.

كما تحدث النقابي نبيل المحاسنة، رئيس نقابة عمال جارمكو، مستعرضاً مسيرة النقابة منذ تأسيسها عام 2002، والإنجازات التي حققتها رغم التحديات، مشدداً على أهمية الوحدة النقابية في مواجهة الضغوط الاقتصادية والسياسية.

وفي كلمة لجمعية المحامين البحرينية، ألقاها نائب رئيس الجمعية المحامي محمد فتيل، تم التأكيد على أهمية الدفاع عن حقوق العمال وتعزيز دور النقابات في بناء مجتمع عادل ومستدام.

مشاركة شعبية

واختتم الحفل بقصائد شعرية للشاعرين عبدالحميد القائد وكرم رضي، عبّرت عن روح النضال العمالي، مستحضرة تضحيات العمال وتاريخهم النضالي، وسط تفاعل كبير من الحضور الذين جددوا عهدهم بالنضال تحت شعار: «يا عمال العالم اتحدوا».

وأكد الحاضرون في نهاية الحفل على ضرورة استمرار النضال من أجل حقوق العمال، وتوحيد الصفوف لمواجهة التحديات، وتعزيز التضامن العمالي في مواجهة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية.

كلمة «تقدم»

من جانبها، ألقىت النائبة الرفيقة إيمان شويطر كلمة باسم كتلة «تقدم»، أكدت فيها على أهمية الاستمرار في النضال العمالي رغم كل التحديات، مشيرة إلى أن الوحدة العمالية هي الضمانة الوحيدة لحماية الحقوق والمكتسبات. وقالت شويطر: «نحن نؤمن بأن استعادة طبقتنا العاملة لوحدها ولدورها الريادي هو السبيل الوحيد لمواجهة تغول الرأسمالية وحماية مصالح العمال. ولن نسمح بأن تُستغل العمالة المهاجرة كوسيلة لتقويض حقوق عمالنا، أو أن

ونحن في المنبر التقدمي نرفض هذا الهيمنة، ونجدد التزامنا بالنضال من أجل عالم تسوده العدالة والمساواة».

كما أكد متروك على ضرورة تعزيز الوحدة العمالية في مواجهة محاولات تفتيت الحركة النقابية وتهميش دورها، داعياً إلى التنسيق لمواجهة التحديات التي تعترض طريق النضال العمالي، والعمل على تحقيق الإصلاح السياسي كمدخل رئيسي لاستعادة حقوق العمال وتعزيز الديمقراطية.

تكريم النقابي الراحل عبدالله حسين



في بادرة تقدير ووفاء لمسيرة النضال العمالي، كرّم المنبر التقدمي المناضل والنقابي الراحل عبدالله حسين، الذي رحل عنا مؤخراً، بتقديم درع «المناضل العمالي» الذي يحمل اسم الرفيق علي مدان. تسلم الدرع ابنه حسين عبدالله حسين، في لحظة مؤثرة جسدت روح الوفاء لرموز الحركة العمالية ومناضليها وتضحياتهم من أجل حقوق العمال.



الرفيق الراحل محسن مرهون



جانب من الحضور

المنبر التقدمي يحيي ذكرى المناضل محسن مرهون في حفل تأبيني حاشد



صالح المدفع

والمساندة دون أن يطلب شيئاً في المقابل». وجاء في كلمتها: «كان يؤمن بالإنسان، ويؤمن دائماً بحكمته وثقافته وبقدرته على الإصغاء

نظم المنبر التقدمي فعالية تأبينية مهيبه لتوديع المحامي والمناضل الوطني البارز محسن حميد مرهون، عضو كتلة الشعب في أول مجلس وطني منتخب (1973-1975)، وذلك بحضور حاشد من رفاقه وأصدقائه وعائلته، إلى جانب رموز التيار الوطني الديمقراطي وممثلي جمعية المحامين البحرينية. استهلّت الفعالية، التي أقيمت في مقر المنبر، بدقيقة صمت حداداً على روح الفقيد وأرواح المناضلين الراحلين من رموز الحركة الوطنية البحرينية.

زويا مرهون: نودع قيمة عظيمة في حياتنا

وبالنيابة عن ابنة الفقيد زويا مرهون، القى كلمتها المحامي حميد الملا، التي قالت فيها: «نجتمع اليوم لنودع إنساناً استثنائياً، كان أباً وصديقاً ومصدر إلهام لكل من عرفه... إن رحيل والدي ليس فقط فقدان شخص نحبه، بل هو



عادل المتروك

زويا مرهون: نجتمع اليوم لنودع إنساناً وصديقاً ومصدر إلهام لكل من عرفه



■ عادل المتروك: «تشرب مرهون مبادئه من مدرسة جبهة التحرير وبرز في المجلس الوطني من خلال كتلة الشعب كمعبر عن تطلعات الشعب



عبدالنبي سلمان



حميد الملا



عباس هلال



أحمد الديبين

إلى البحرين. وبادرنا بعقد مؤتمر صحفي معه في جمعية الصحفيين الكويتية لشرح مستجدات الوضع في البحرين بعد حل المجلس الوطني، حيث تدخل الشيخ جابر العلي واعتبره ضيفاً عليه.. لقد كان محسن مرهون صوتاً نادراً للحق في زمن الصمت».

د. عباس هلال: من
موسكو إلى المحاماة إلى العرائض

أما الدكتور عباس هلال، فتحدث عن مسيرة الراحل منذ بداياته: «من دمشق إلى موسكو، ومن المحاماة إلى العمل النقابي والسياسي، كان محسن مرهون في قلب الحركة الوطنية لستين عاماً. دافع عن المعتقلين، وشارك في تأسيس العرائض الوطنية، وخاض معارك الإضراب والاعتقال في سجون البحرين، وبقي صلباً شامخاً كالنخلة».

إشادات
خليجية وتاريخ لا ينسى

اختتم الحفل بقراءة مقال تأييني كتبه الكاتب السعودي نجيب الخنيزي، وألقاه بالنيابة فيصل خليفة، استذكر فيه تجربة الراحل في المجلس الوطني وما تلاها من نضال، مشيراً إلى أن فقدانه يمثل «خسارة كبرى للتيار التقدمي في الخليج بأسره».

عبدالنبي سلمان:
أحد أعمدة المسار الديمقراطي

النائب عبدالنبي سلمان، وبالنيابة عن كتلة «تقدم»، أكد في كلمته أن الراحل مثل مع رفاقه في المجلس الوطني في السبعينات شكلوا نقطة تحول في الحراك الوطني: «لقد ساهم بقوة في طرح قوانين أساسية كقانون التأمينات الاجتماعية، وكان فاعلاً في الحراك النقابي، ينتقل من مصنع لآخر بحثاً عن حلول للعمال... كان شخصية سياسية صلبة، برؤية وطنية واضحة، نستلهم منها في مسيرتنا البرلمانية اليوم».

صلاح المدفع: رمز
في الدفاع عن الحريات

من جانبه، أشار المحامي صلاح المدفع، رئيس جمعية المحامين البحرينية، إلى أن الفقيد كان صوتاً حراً في الدفاع عن الحقوق: «كان بسيطاً، مرحاً، صلباً في المواقف، لا تأخذه في الحق لومة لائم، وكان محوراً توافقياً في جمعية المحامين... رحيله خلف فراغاً لم يملأه أحد».

أحمد الديبين: ضيف الكويت الذي رفض الهروب من الاعتقال استعرض الرفيق أحمد الديبين الشخصية الوطنية وعضو المكتب السياسي للحركة التقدمية الكويتية تفاصيل زيارة مرهون إلى الكويت في ديسمبر 1975، قبيل اعتقاله: «رفض الهروب رغم معرفته بالاعتقال، وأصر على العودة

بالعمل، ويؤمن أن القيم الحقيقية تُقاس بما نتركه من أثر طيب في حياة من حولنا. وقد ترك والذي أثراً لا يمحي، في كل من عمل معه، وعاش بجانبه، وتعلم منه... لقد عاش حياة مليئة بالعطاء، بسيطة في ظاهرها، عظيمة في معناها. لم يسع وراء الألقاب أو المظاهر، بل اختار أن يكون صادقاً مع نفسه ومع الآخرين، وهذا ما جعله محبوباً ومحل احترام أينما كان»، واختتمت كلمتها: «اليوم، ونحن نودعه، لا نملك إلا الامتنان. امتناناً على ما قدم، وعلى ما علمنا إياه، وعلى الذكريات التي ستبقى حية فينا، تذكرنا بمن كان، وتلهمنا لتكون أفضل».

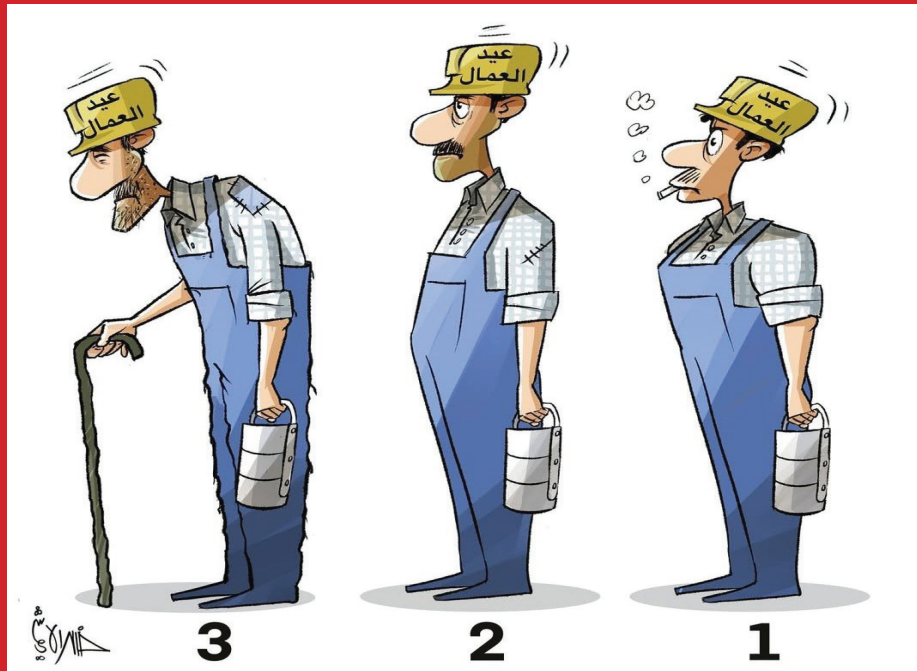
عادل المتروك: انحياز
دائم للفقراء وقيم جبهة التحرير

وفي كلمة عادل المتروك، الأمين العام للمنتبر التقدمي، استعرض أبرز محطات الفقيد النضالية، قائلاً: «تشرب مرهون مبادئه من مدرسة جبهة التحرير، وبرز في المجلس الوطني من خلال كتلة الشعب كمعبر عن تطلعات الشعب... وقف بصلافة ضد قانون أمن الدولة والوجود العسكري الأجنبي، وساهم في إطلاق العريضة النخبوية والشعبية، وكان صوته ناطقاً باسم الطبقة العاملة والكادحين».

وأضاف: «رغم اعتقاله لخمس سنوات، لم يخرج من السجن منكسراً، بل واصل نضاله وبرز في تأسيس جمعية المحامين وقيادة العمل الوطني المهني. كما كان من مؤسسي المنتبر التقدمي بعد انطلاقة المشروع الإصلاحي، واضعاً لبنات برنامج السياسي وهيكله التنظيمي».

كاريكاتير خالد الهاشمي

نقلًا عن حساب
الفنان على
«انستجرام»



اتحاد نقابات عمال النرويج يصوت على خطة موسعة لمقاطعة إسرائيل

صوّت اتحاد نقابات عمال النرويج في مؤتمره العام، على خطة موسعة لمقاطعة «إسرائيل»، تشمل حظر التجارة والاستثمار مع الشركات «الإسرائيلية»، ودعوة صندوق الثروة السيادي النرويجي البالغ قيمته 1.8 تريليون دولار لسحب استثماراته من جميع الشركات العاملة في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ويعد الاتحاد النرويجي، المتحالف مع حزب العمال الحاكم، أكبر اتحاد نقابي في البلاد وله تأثير واسع يتجاوز قضايا حقوق العمال التقليدية.

فاجعة في بابكو تحصد 3 أرواح عمال

دول الخليج تبدأ حظر العمل تحت أشعة الشمس لحماية العمال خلال الصيف

بدأت دول مجلس التعاون الخليجي بتطبيق قرارات حظر العمل في الأماكن المكشوفة تحت أشعة الشمس خلال فصل الصيف، بهدف حماية العمال من مخاطر الإجهاد الحراري وضربات الشمس التي قد تؤدي إلى مضاعفات صحية خطيرة أو حتى الوفاة.

ويأتي هذا الإجراء في إطار التزام دول الخليج بتحسين ظروف العمل وضمان بيئة آمنة للعمال، مع مراعاة الاختلافات في فترات الحظر بين الدول، التي تتراوح عادة بين يونيو وسبتمبر.

وتشمل قرارات الحظر وقف العمل في أوقات الذروة التي تشهد ارتفاعاً حاداً في درجات الحرارة، حيث تُحدد هذه الفترات وفقاً للظروف المناخية لكل دولة، لضمان أقصى درجات الحماية للعمال في مواقع البناء والإنشاءات.

كما دعت النقابات والجهات المعنية إلى تعزيز التوعية بأهمية هذه الإجراءات لحماية صحة العمال، وتوفير بيئة عمل آمنة ومستدامة، في خطوة تؤكد على التزام دول الخليج بحقوق العمال وسلامتهم.

تشكيلها لتسهيل الوصول إلى المعلومات والتنسيق مع الجهات المعنية، وتضم اللجنة ممثلين عن وزارة الداخلية، وزارة النفط والبيئة، الإدارة العامة للدفاع المدني، إلى جانب خبراء في مجالات السلامة والتقنية. وأعدت الحادثة التساؤلات حول معايير السلامة المهنية وإجراءات الوقاية في مواقع العمل، خاصة في القطاعات الصناعية التي تتعامل مع مواد خطيرة، وسط مطالبات بضرورة تعزيز إجراءات السلامة وتكثيف الرقابة لضمان حماية أرواح العاملين، والقاطنين من السكان في المناطق القريبة والمجاورة للمصانع.

شهد مجمع بابكو للتكرير بعيد الاحتفال بعيد العمال العالمي، حادثاً مأساوياً أسفر عن وفاة ثلاثة موظفين إثر تسرب غازات سامة من أحد صمامات الأمان في إحدى وحدات الإنتاج. وقع الحادث أثناء قيام الموظفين بمعاينة ميدانية لمعدات السلامة، حيث لقي اثنان منهم حتفهما في الموقع، فيما توفي الثالث، متأثراً بإصابته أثناء تلقيه العلاج في المستشفى. وأعلنت شركة بابكو في بيان رسمي عن تعيين مستشار مستقل للتحقيق في أسباب الحادث، تنفيذاً لتوجيهات مجلسي إدارة بابكو وإنرجيز وبابكو للتكرير. وذكرت الشركة أن لجنة دعم للتحقيق الداخلي تم

التقدمي يعزي بضحايا الحادث ويدعو لتحقيق شامل

الخطرة دون تجهيزات أمان كافية. كما دعا البيان وزارة العمل، ممثلة في قسم السلامة المهنية، إلى تعزيز إجراءات الرقابة وتكثيف عمليات التفتيش الدورية لضمان بيئة عمل آمنة وحماية حقوق العمال، وأكد ضرورة تعويض أهالي الضحايا والمصابين بشكل عاجل، واتخاذ كافة التدابير اللازمة لضمان عدم تكرار مثل هذه الحوادث مستقبلاً.

من جانبه أعرب المنبر التقدمي عن تعازيه ومواساته لعائلات وأهالي العاملين الذين فقدوا حياتهم في الحادث الأليم، وفي بيان له، طالب التقدمي إدارة الشركة بالكشف عن ملابسات الحادث وتوضيح الأسباب التي أدت إلى وقوعه، مع الإشارة إلى ضرورة توضيح غياب أنظمة الكشف عن التسرب في الموقع، وتساؤلات حول الإجراءات المتبعة للسماح للضحايا بالدخول إلى مناطق العمل

قراءة في مشروع قانون تنظيم الصحافة والإعلام الإلكتروني

انتهى مجلس النواب من مناقشة وإقرار مشروع تعديل قانون الصحافة بعد أخذ ورد لفترة طويلة، وتم الأخذ بملاحظات ووجهات نظر العديد من المؤسسات والجهات ذات الصلة، وكان للجنة الخدمات بمجلس النواب جهد مُقدّر في الوصول الى توافقات مهمة، ومن ذلك إلغاء شرط التمتع بالحقوق السياسية لمن يرغب في تملك موقع الكتروني أو المساهمة في ملكيته وهو شرط ورد في المادة ٦٧ مكرر ٣، أو أن يكون مديراً مسؤولاً عن الموقع الإلكتروني كما ورد في ذات المادة، فهو قيد غير مبرر على حق إبداء الرأي والتعبير.

إيجابيات مشروع القانون

(أولاً): إلغاء عقوبة الحبس من جميع النصوص العقابية الواردة في القانون لا سيما المادة 68 التي تنص على الحبس لمدة قد تصل إلى (6) شهور فيما يتعلق بجرائم التعرض للدين أو الملك أو التحريض على ارتكاب جنایات القتل و النهب، والتي استبدلت بالنص على أن القيود الواردة على الحق في التعبير تُفسر في الإطار الضروري اللازم لمجتمع ديمقراطي وفقاً لمبادئ ميثاق العمل الوطني والدستور، ويعد عذراً معفياً من العقاب ممارسة الحق في حرية التعبير في هذا الإطار.

كما ألغى مشروع القانون حبس الصحفي احتياطياً بأي حال من الأحوال في الجرائم المنصوص عليها في القانون.

(ثانياً): قرر مشروع القانون (م81) بطلان التحقيق مع الصحفي في حالة عدم إخطار جمعية الصحفيين كتابياً وحضور مندوب عن الصحيفة، ويعد ذلك ضماناً لمحاكمة أكثر عدالة وتمكين لجمعية الصحفيين من أن يكون لها دور في حماية الصحفي.

(ثالثاً): إلغاء الحد الأدنى للغرامات الجنائية في العديد من مواد المشروع، ومن شأن ذلك إعطاء سلطة تقديرية أوسع للقاضي في النزول بالمبالغ المحكوم بها الى أدنى حد ممكن.

(رابعاً): اشتراط أن مسؤولية رئيس التحرير أو المدير المسؤول عن الموقع الإلكتروني الجنائية عما يُنشر لا تكون إلا في حالة الإخلال بواجباته الوظيفية وعدم تمكنه من الحيلولة دون وقوعها (م74)، عكس القانون النافذ التي تُوجب العقوبة دون هذا الشرط.

(خامساً): تحديد شروط وإجراءات منح ترخيص الأنشطة الإعلامية والإعلانية التي لم تُنظم في القانون وكافة ضوابط مزاوله النشاط وإلغاء الترخيص يكون من خلال القانون، وليس كما كان في المسودة السابقة من خلال قرار إداري.

سلبيات مشروع القانون

(أولاً): في مسألة إلغاء الترخيص أعطى مشروع القانون الحق للوزير بإلغاء (م 67 مكرر 9)، وهو أمر منتقد ويتعارض مع التوجهات الحديثة بالتخفيف من القرارات الإدارية وإيكال المهمة للقضاء في ذلك، بحيث يكون القضاء هو ساحة الفصل في المنازعات بين الوزارة المختصة والصحف وأصحاب المواقع الإلكترونية، ويكون للسلطة الادارية المختصة اللجوء إلى القضاء المستعجل أو القضاء الموضوعي بحسب الأحوال.

فضلاً عن ذلك فإن المادة المشار إليها وهي بصدد إيراد حالات إلغاء الترخيص اوردت مدداً غير مناسبة أو معقولة كمدة 6 شهور في حالة عدم مزاوله النشاط من تاريخ الحصول على الترخيص.

(ثانياً): الغرامات الجنائية المقررة مبالغ فيها وهي فوق طاقة الصحف والصحفيين في حالة تطبيقها عليهم، فمثلاً غرامة قد تصل 10 آلاف دينار كما في المادة (63) وهي حالة الامتناع عن التصحيح خلال المدة، أو غرامة تصل الى 50 ألف دينار كما في المادة (69) وهي حالة التعرض لدين



محمود ربيع

مملكة البحرين، مع مضاعفة العقوبة في حالة العودة، وغني عن البيان أن عدم القدرة على سداد الغرامة يؤدي إلى الحبس، لذلك يتعين إعادة النظر في مقدار الغرامات بوضع حد أقصى متناسب.

(ثالثاً): إن عبارة (مع عدم الإخلال بأي عقوبة أشد ينص عليها قانون العقوبات أو أي قانون آخر) كما وردت مثلاً في المواد (16) و(69) و(85) تعني أن عقوبة الحبس لا زالت باقية من خلال قوانين أخرى، ويجب حذف هذه العبارة كما حُذفت من المادة (68) والمادة (71) لتطبيقاً لعبارة إلغاء عقوبة حبس الصحفي.

(رابعاً): إحالة الاختصاص بنظر قضايا النشر الى المحكمة المدنية (الدائرة الإدارية) هو الخيار الأنسب ذلك لأن الغرامات هي عقوبات جنائية يترتب عليه آثار جنائية، هو أمر يقتضي كذلك ما يلي:

تغيير مفردة "جرائم النشر" إلى قضايا النشر كما ورد في مسمى الباب السابع وفي عدد آخر من النصوص، الخضوع لقانون المرافعات المدنية بدلاً من قانون الإجراءات الجنائية، أن تكون المحكمة المختصة هي المحكمة المدنية (الدائرة الإدارية)، تقرير التعويض المدني بدلاً من الغرامات الجنائية.

(خامساً): أجاز القانون إلغاء الترخيص وتعطيل الصحف أو حجب المواقع الإلكترونية لمدة طويلة قد تصل الى (3) شهور كما ورد في المادة 75 وهي حالة الحكم على رئيس التحرير أو المحرر المسؤول أو المدير المسؤول عن الموقع الإعلامي الإلكتروني في جريمة نشر ارتكبت بواسطة الصحيفة أو الموقع الإعلامي الإلكتروني، أو مدة قد تصل الى سنة كما ورد في المادة 85 وهي حالة ثبوت خدمتها مصالح أو هيئة أجنبية أو أن سياستها تتعارض مع المصلحة الوطنية، لأن ذلك يؤثر ذلك على الإيرادات والإعلانات وقد يؤدي إلى انهيار هذه المؤسسات وقطع أرزاق الصحفيين.

(سادساً): أجاز القانون للمحكمة وقف الصحيفة أو حجب الموقع الاعلاني الإلكتروني -مؤقتاً- إذا نشر أو بث ما يعتبر نشره أو بثه جريمة كما ورد في المادة 78، وهو أمر منتقد حيث يُبقي الباب مفتوحاً بدون مدة زمنية محددة، لذلك المستحسن تحديد مدة الإيقاف، كما أن مشروع القانون قد خلى من طريقة التظلم أو الاستئناف على هذا القرار.

(سابعاً): نصت المادة 84 من مشروع القانون على أنه يجوز للوزارة أن تنذر الصحيفة أو الموقع الإعلامي الإلكتروني عند نشر أو بث ما يخالف أحكام القانون وعلى رئيس التحرير أو نشر أو بث نص الإنذار.

وهذا النص مُنتقد لأن فرض نشر انذار الوزارة على الصحف والمواقع الإلكترونية فيه إخلال باستقلاليته، ومنح سلطة واسعة للوزارة المختصة.

(ثامناً): نصت المادة 90 الفقرة (3) على عدم سريان أحكام هذا القانون على المواقع الإعلامية الإلكترونية الخاصة بالوزارات والمؤسسات والهيئات العامة وغيرها من الجهات الحكومية والجهات الرسمية في المملكة، وكان يجب شمول مواقع الإلكترونيات للجمعيات السياسية ومؤسسات المجتمع المدني حيث أنها لا تنشر إلا تلك الأخبار المتعلقة بنشاطها وفعاليتها، وخضوعها لشروط الترخيص لا ضرورة له.

من إيجابيات القانون
إلغاء عقوبة
الحبس من جميع
النصوص العقابية
والغاء شرط التمتع
بالحقوق السياسية
لتملك موقع
إلكتروني، ومن
سلبياته إعطاء
الوزير الحق في
إلغاء التراخيص
وهو أمر منتقد
ويتعارض مع
التوجهات الحديثة

«لغم البطالة» إلى متى؟!

يدهش المرء حقاً كيف نجلس هادئين مطمئنين، ونتداول أحلى الكلام الذى يطرب الأسماع، ونطرح الوعود بلا حساب، ونعلن عن خطط واستراتيجيات تُبشر بالمستقبل الواعد، وتحتنا جميعاً ذلك اللغم الكبير والمؤرق الذى اسمه «البطالة».

لنقر حقيقة أنه لم يعد هناك حاجة لمزيد من الشرح فى شأن هذا الملف الذى أصبح يضر الكثير من الكلام المكرر، وحقيقة أخرى هى أننا لا نعرف حتى الآن متى سنغادر نقطة الصفر ونتخطى المراهقة ونتجاوز الكمّ الكبير من التصريحات والعناوين المحاطة بعلامات استفهام محشورة فى زوايا الاستحقاقات المؤجلة ذات الصلة بهذا الملف، وهو الأمر الذى أبقانا نراوح فى دائرة هذه التصريحات والعناوين التى تتكرر على مسامعنا بمناسبة وبدون مناسبة متجاهلين الأسباب الحقيقية والحلول الجذرية، وكأننا عاجزين عن التعامل الأمثل والالتزام الصارم للمعالجات الحاسمة المطلوبة التى تخرجنا من دائرة المراهقة، وتنهى منظومة الشعارات البراقة التى تطرح بجودة وإتقان ومحصلتها النهائية معروفة لدى الجميع.



خليل يوسف

لا نتحدث هنا عن أحوال الاقتصاد والمجتمع والناس فذلك أمر آخر، ولا عن كمّ الخطط والبرامج التى أعلن عنها وبشرتنا بالخير الوفير، بل نقف تحديداً ومجدداً أمام الملف المذكور، ولكن هذه المرة من باب العناوين التى وجدناها منشورة فى صحفنا المحلية فى أكثر من مناسبة على لسان مسؤولين ونواب واقتصاديين واصحاب أعمال، نشير إليها لأننا لم نجد فى التعبير عن مرادنا أبلغ وأوجز منها، فهى ودون الدخول فى التفاصيل كافية لأن نستخلص منها حجم المراهقة فى التعاطى مع الملف، أو على وجه الدقة مشكلة البطالة التى تبعث إلينا إشارات مقلقة ومؤرقة ومعقدة ومتشابكة وكثيرة الأوجه ومثيرة لهواجس لاتتوقف ولا حدود لها والتى تتدفق وتتعاظم حين نجد إلى أى مدى أن الكلام مختلف بل مقلوب عن الفعل، وعن الشعار والتطبيق، عن الالتزام والالتزام حيال المعالجات الحساسة اللازمة التى تنهى معاناتنا من هذه المشكلة، وتحرك وجدان الجميع من خلال إرادة ومواقف وقرارات تشعربنا بأن عهد المراهقات قد انتهى، وأن أي جهود طيبة تبذل باتجاه المعالجات الصحيحة لن تذهب أدراج الرياح.

تعالوا نتوقف أولاً أمام عينات من عناوين لتصريحات ذات صلة بملف البطالة، وتوظيف البحرينيين، والتوازن واستقرار سوق العمل، وما أكثرها بدءاً من الأقدم إلى الأحدث منها، ونبدأ بما نشر على ضوء النقاش الذى دار تحت قبة مجلس النواب فى الجلسة التى ناقشت 22 توصية من مخرجات لجنة التحقيق البرلمانية فى عقود التوظيف التى عقدت فى 25 ديسمبر 2024، مجرد عناوين والتفاصيل يمكن الرجوع إليها فى أي وقت، وفيما يلي عينة من العناوين:

- مهارات التوظيف "منصة لجعل البحرينى الخيار الأمثل فى سوق العمل.
- الوفد الحكومي يؤكد: جعل المواطن الخيار الأول فى التوظيف رغبة مشتركة.
- وزير شؤون الكهرباء: تثبيت عدد من موظفي العقود المؤقتة.
- النائب جلال كاظم: ملف الاستقرار الوظيفي مؤرق وتوريد العمالة الأجنبية "خطير".
- النائب الرفاعي: ندعو بأن يكون البحرينى هو الخيار "الأوحد" وليس الخيار الأول.
- بحرينيون يبحثون عن شواغر فى الحراسات وشركات خاصة لا توظف البحرينيين وتتجه للأجانب.
- النائب ممدوح الصالح يطالب الخدمة المدنية بتصحيح أوضاع 100 من موظفي الأوقاف الجعفرية، والنائب العشيري: كيف يكون هناك موظف مؤقت لمدة 15 سنة؟!
- مطالبات نيابية بوضع خطة شاملة لتقليل الاعتماد على العقود المؤقتة وتوريد القوى العاملة، وبضرورة تقييم تجربة التعاقد الخارجى

- وتوريد العمالة.
- الوفد الحكومي يؤكد: جعل المواطن الخيار الأول فى التوظيف رغبة مشتركة، ووزير العمل بالوكالة: حرص حكومي بدراسة وتدقيق عقود توريد العمالة بشكل دورى، وتنسيق حكومي تام مع "تمكين" بهدف تأهيل البحرينيين لسوق العمل!..
- 50 جهة حكومية تأخرت فى الردود على استفسارات وتساؤلات لجنة التحقيق البرلمانية.

يمكن أن نتوقف أمام دفعة أخرى من العناوين التى وجدناها منشورة مع تفاصيلها فى صحفنا المحلية فى نفس تلك الفترة تقريباً على ضوء اجتماعات مشتركة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية لمناقشة المشاريع والمبادرات الهادفة إلى بحث المبادرات الهادفة إلى جعل المواطن أولوية وطنية لخدمة التوجهات المستقبلية، وكيف كان الجانب الحكومي يؤكد على أن العمل متواصل لطرح المزيد من المبادرات النوعية لدعم المواطن، ووجدنا رئيس مجلس النواب فى أحد تلك الاجتماعات يدعو إلى تحفيز القطاع الخاص لزيادة توظيف العنصر البحريني. (الصحف المحلية 15 يناير 2025)

تلا ذلك عناوين عبرت عن نفس المضامين التى لا تجعلنا نتخلص من الذهول والدهشة من نوع: "غرفة التجارة تتحفظ على بحرنة الوظائف"، و"ديوان الخدمة المدنية يدعو إلى مراعاة تدريب البحرينيين لشغل الوظائف، وتوظيف الأجانب بناء على طلبات الجهات الحكومية"، إلى جانب عناوين مثل "17402 باحث عن عمل حتى نهاية 2024"، "93% من الباحثين عن عمل لم يسبق لهم العمل أو يقل عملهم السابق عن سنة"، إلى جانب عنوان يقول "2692 مستفيداً من برنامج "فرص" منهم 65% من خريجي بكالوريوس وأعلى"، و"تشريعية النواب تقر اقتراحاً لحصر الوظائف التى يشغلها الأجانب فى القطاعين العام والخاص والتى لا تتطلب مؤهلات جامعية لإحلال المواطنين خلال مدة لا تتجاوز خمس سنوات وجهاز الخدمة المدنية يتحفظ" (الصحف المحلية 22 مارس 2025)، كما قرأنا فى الصحف عناوين بارزة تبشرنا بأن مجلس الشورى ناقش أولوية توظيف البحرينيين بالقطاع الخاص التعليمي من خلال مشروع قانون يهدف إلى إعطاء الأولوية لتوظيف البحرينيين الحاصلين على المؤهلات اللازمة لشغل الوظائف التعليمية والتدريبية فى القطاع الخاص، وذلك بسبب أعداد الخريجين الباحثين عن الوظائف التعليمية فى القطاع العام. (الصحف المحلية بتاريخ 4 مايو 2025)

نأتى إلى مناسبة يوم العمال العالمى التى جعلتنا مرة أخرى أمام تصريحات أطلقت لم تشعربنا لا من قريب أو بعيد أننا أصبحنا قاب قوسين أو أدنى من جدية غير



إنصاف المتقاعدين بإرجاع حقوقهم المحمية بالقانون

ما هكذا تورد الأبل



فلاح هاشم

ما أقره مجلس النواب في الميزانية من زيادات في علاوة تحسين معيشة المتقاعدين، رغم أنها ستستاهم في تحسين بسيط في المعاشات التقاعدية لشريحة منهم، إلا أن ذلك لا يعد من الإجراءات التي تساهم في ضمان حياة كريمة لهم، خاصة مع ارتفاع تكلفة المعيشة من جانب، ومدى تحمل المتقاعدين العديد من المسؤوليات بتغطية تكاليف تعليم وإعاشة أبنائهم، خاصة العاطلين الذين عجزت الدولة عن توفير فرص عمل لائقة لهم، حيث لا يخلو بيت في البحرين من عاطل، زد على ذلك تكلفة ما يتحمله المتقاعدون في العلاج في المستشفيات الخاصة بسبب تردي وبطء، وطول فترات الانتظار لتلك الخدمات في القطاع الصحي الحكومي.

لقد أسفر تعديل قوانين التقاعد في الفصل السابق عن آثار سلبية عميقة طالت شريحة كبيرة من المواطنين الذين أفنوا أعمارهم في خدمة الوطن بإخلاص، حيث لم يقتصر هذا التأثير على أوضاعهم المعيشية في نهاية خدمتهم أو خلال مرحلة الشيخوخة، بل امتد ليشمل القلق على مستقبل العاملين الحاليين الذين يؤدون مهامهم بكل أمانة ونزاهة. ومما يزيد الأمر تعقيداً أن هذا الانتقاص من الحقوق التقاعدية يُعد عاملاً محبطاً، يُضعف من دافعية العطاء لدى الموظفين القائمين على رأس عملهم اليوم.

إن ما يطالب به المتقاعدون هو إرجاع تلك الحقوق المكرسة في القانون منذ إنشاء نظام التقاعد في البحرين وخلال أكثر من نصف قرن، لا كما يراد له من خلال مبادرات تتسم وتغلف بتوجهات

مسبوقة، أو تحولات مفاجئة، أو سيناريوهات غير متوقعة تنبئنا بأننا باتجاه إنهاء عصر المزاوحت التي تواجهنا حتى الآن في ملف البطالة، وإزالة لغم البطالة، فالمتابع الدقيق لما طرح في هذه المناسبة سيصل إلى نتيجة هي أننا لازلنا أمام حالة من الإصرار الغريب في تبديد طاقاتنا في المزاوحت وإثبات البديهيّات، تصريحات من نوع "الخطة الوطنية لسوق العمل للأعوام 2023-2026 تستهدف خلق الفرص النوعية للمواطنين"، والإعلان عن مبادرة استراتيجية لتأهيل الشباب، و"مطالبات بوضع البحرينى في قلب عملية الانتاج الوطنية"، و"دعوة إلى إطلاق خطة وطنية متكاملة لإحلال العمالة الوطنية"، و"اليد البحرينية أولى"، وتعزيز البيئة الاستثمارية لتوليد الوظائف الجديدة، أما أحدث العناوين التي استطعنا أن نلاحقها حتى كتابة هذا المقال فهي تلك التي صدرت من أعضاء بمجلس الشورى ومنها: "د.السلطان: أولوية البحنة واجب وطني"، و"العراي: كي لا تكون البحنة مجرد أمنية"، و"الزاید: أين الجزاءات لغير الملتزمين بأولوية البحرينية؟"، وعنوان آخر نصه "اقترح شوري بفرض عقوبة على المدارس الخاصة التي لا تمنح أولوية التوظيف للبحريني"، ولعل النائب الأول لمجلس الشورى جمال فخرو اختزل المطلب الملح لما يحتاجه ملف البحنة ليس في مجال التعليم الخاص فقط بل في كل المجالات حين قال "إن مشروع القانون بخصوص أولوية التوظيف للبحرينيين لن يغير شيئاً إذا لم تكن هناك إرادة من الجهات المعنية"، وما تلك العناوين إلا غيض من فيض لعناوين مماثلة أو مشابهة نشرت طيلة سنوات مضت وحتى الآن، وكلها تقريباً تحمل نفس المعاني والوعود التي تصب في دائرة المزاوحت المعتادة.

إن مشكلة البطالة تتفاقم وتأخذ أبعاداً لم تؤخذ بعين الجدية المطلوبة واللازمة، وهذا يستوجب من جهات عديدة المراجعة والتشخيص المسؤول، المقترن بإرادة الانتقال بهذا الملف من حال المزاوحت إلى حال الأمل والانفراج المرتكزين على المواجهة الشجاعة، وعلى كل الأطراف المسؤولية تحمّل كامل مسؤولياتها في الانتقال إلى منعطف جديد في التعامل مع الملف والتوصل إلى معالجات حسيّة ومسؤولية تدخل الارتياح والثقة والتفاؤل إلى النفوس، بروح ينفخها نافخ في موقع القرار تبرهن على أن هناك إرادة وعزم تنقل هذا الملف برمته وأساسه إلى منعطف جديد غير تقليدي، لا أن تجعلنا وكأننا وصلنا إلى تيه لا يظهر أفق للخروج منه، أو تبقينا نشعر بأننا أمام ملف "الطاسة فيه ضائعة"، والسبب سياسات أو مصالح أو مهادنات أو إرادة غائبة، وهنا تكمن المشكلة الجوهرية التي تواجه مجتمعنا، والتي تجعلنا مع هدف البحنة ونقيضه في نفس الوقت، نتفق على المبدأ ونختلف حول التفاصيل، فهل يخفى هذا الامر على ذوى الفطنة؟

نحن إزاء ملف وطني عام لا بد من سرعة حسمه، وإلا فإن سيف الاتهام سيكون مشهراً على كل الرقاب، وستظل المسؤولية تلاحق الجميع بدون استثناء، من المعنيين بواقع هذا الحال المحبط والمقلق والخطير، ومعهم كل من بمقدوره أن تكون له مساهمة إيجابية بشكل أو بآخر تجعلنا نقتنع، أن هناك من يدفع ضمناً وعلناً في تحريك هذا الملف المعطل الذي ندرك أنه مكبل لاعتبارات وحسابات ومصالح تقيده في دائرة الجمود الراهن، خاصة في ظل تفاقم أعداد العاطلين من المواطنين، ومنهم خريجين وأصحاب تخصصات تتوافق مع متطلبات سوق العمل، ويضاف إلى تلك المخاوف ما يتصل بالمتغيرات التي بدأ المجتمع البحريني يعاني منها والتي لم تخضع لدراسة معمقة تكشف كل المخفي خلف الستار.

كونوا جادين، في منتهى الجدية والحزم والمسؤولية تجاه هذا الملف، ولا تستهينوا بخطورته، ولا تلجأوا للمسكنات الوقتية أو الترفيعية التي لا تعالج المشكلات من جذورها، ولا تفتشوا عن المبررات التي توفر باباً خلفياً للفرار من المسؤولية مثل ذريعة أن اقتصادنا حرّ لا يفرض قيوداً على المستثمرين وخياراتهم، إلى آخر التبريرات البعيدة عن الفعل الصائب والقرار الحكيم، باختصار لا تجعلوا الكلام هو الفعل، توقفوا عن فعل كل ذلك، وإلا تخلّوا عن مسؤولياتكم.

أو عبارات الشفقة والرحمة وبمساومات مع النواب يمرر فيها ما يرهق الوطن والمواطنين من قروض وضرائب وتشريعات تنعكس بصورة مباشرة وغير مباشرة على حياة ومستقبل جميع المواطنين، إنها حقوق على الدولة تأمينها وبما يؤمن الحياة الكريمة والثقة لمن بذل الجهود الطويلة في جميع قطاعات العمل. إنصاف المتقاعدين وتقديرهم يتم عبر مسار واحد وهو اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتعديل القوانين التقاعدية وبما يكفل إرجاع الزيادة السنوية للمتقاعدين لما لها من دور مهم للحفاظ على القيمة الفعلية للمعاشات التقاعدية، ولكي يحول دون المزيد من تدهور مستوى معيشتهم هم وعوائلهم.

ذات يوم صحفي

تداولت مواقع التواصل الاجتماعي مؤخراً فيلم فيديو قديماً يُوثق حكاية راجت في البحرين عام ١٩٨٢، مُلخصها أنّ مواطناً بحرينياً ظهرت في رأسه قرون كقرون الثور، وأنّه ذهب إلى مستشفى السلمانية للعلاج فتقاطر المواطنون على المستشفى لمشاهدته. ظلّت الحكاية تتفاعل مع الناس لفترة زمنية بين مُصدّق ومُكذّب ومُشكّك إلى أن تلاشت، بعد أن تبين زيفها، وقد أجريت تحقيقاً صحفياً وقتها، تناولت فيه ظاهرة تصديق الخرافات والخزعبلات في مجتمعنا، وفي التحقيق فلّد الأطباء والمختصون هذه الحادثة عدا رجل دين قال: «إنّ الظاهرة ممكنة الحدوث مثلها مثل كل المعجزات».

صحافة «أبو قرون» من الطبيعي أن تظهر في ذلك الوقت، حيث يُهيمن قانون أمن الدولة على مجمل الحياة والأنشطة الاجتماعية والسياسية. كانت الصحافة فقيرة جداً وحذرة أكثر من اللازم، وتبحث كل يوم عن أخبار ومواد متاحة ومسموح بها وسط قانون الصحافة والنشر المجحف والقاسي، قانون الممنوعات كما كنا نسميه وقتها، وكثير منّا نحن زملاء المهنة كنّا نتعرض للتقريع وللاستدعاء لدى وزير الإعلام على مقال رأي أو خبر فات من الرقابة الصحفية أو الرقابة عند الطباعة، إذ عرفت صحافة الثمانينات رقيباً في المطبعة أيضاً.

نشرت في العام 1983 رسالة بريد تتحدث عن عدد العمالة الآسيوية الكبير والمتصاعد في البلد وفق إحصاء أجرته سفارة أجنبية، وقد نُشرت الإحصائية في الجريدة الأجنبية «جلف ديلي نيوز»، لكن نشرها في الجريدة العربية «أخبار الخليج» أثار حفيظة الوزير ما استدعى نقلي إلى قسم آخر كعقاب مُخفف عن الفصل النهائي. كان ذلك اختباراً لنا جميعاً نحن الصحفيين الذين سنخسر وظائفنا في عام 2011 على خلفية المشاركة في التظاهر أو الكتابة أو تسجيل علامات الإعجاب أو الرفض على مواقع التواصل الاجتماعي.

هشاشة المهنة الصحفية ودربها الشائك والخشية من مزلقها وخسارة مصدر الرزق المتأني منها، كانت تحتم على الكثيرين البحث طوال الوقت عن وظائف أكثر استقراراً وأماناً، كنّا نجلس على مقاعدها وعيوننا تبحث عن مكان آخر وفرصة أفضل.. في العام 2008 أخبرنا الزميل الراحل هشام عدوان أنّه تلقى عرضاً سخياً للعمل لدى جهة حكومية، ولأننا نجلس متقابلين ومتقاربين جميعاً في صالة التحرير، سألنا: ما رأيكم؟ لم يتوقع هشام أنّ الأغلبية هنّاته وتمنت له حياة وظيفية سعيدة ومستقرة بدلاً من مهنة «الشعبطة» كما كنا نسميها في ذلك الوقت، «المتشعبط هو مرتاد الحافلة والممسك بأحد أعمدتها، فلا هو جالس ولا هو مستقر». بعد ثلاث سنوات من تلك الحادثة سيتبين لنا كم هي مهنة «شعبطة» وبهدلة، والأسوأ من ذلك أنّها مهنة بلا مستقبل على الإطلاق، «فحببية قلبك يا ولدي نائمة في قصر مرصود، من يدخل حجرتها، من يطلب يدها، من يدنو من سور حديقتها، من حاول فك ضفائرها يا ولدي مفقود مفقود مفقود». تلك مواصفات الصحافة والحببية العصيّة على الامتلاك كما وصفها شاعرنا الراحل نزار قباني.

خمس مؤشرات تعتمد عليها منظمة «مراسلون بلا حدود» لتقييم صحافة أي بلد وهي متوفرة على موقع المنظمة. مؤشر حرية الصحافة تعدّه المنظمة حجر الزاوية إذ تضمن عبره حق الصحفيين في الوصول إلى المعلومات والتعبير عن آرائهم ونشر أفكارهم بحرية تامة دون قيد أو تدخل من الحكومة، مع ضمان حمايتهم من أي اعتداء أو تهديد بل ومحاسبة كل من يرتكب جرائم ضد الصحافة، كما تؤكد على استقلال وسائل الإعلام ضمن بيئة تعددية وتنوّع إعلامي لضمان وصول المعلومات للجمهور من مصادر متعددة وغيرها.

اليوم لدينا صحافة ورقية وإلكترونية تستمد كل مصادرها من مركز الإعلام الواحد الموحد، وهو شيء لم تعرفه حتى صحافة أمن الدولة في الثمانينات، لذا تجيء البحرين في مراتب متدنية على هذا المقياس عاماً بعد عام، حيث



عصمت الموسوي

**فما أحرانا أن نعتمد
قانوناً متطوراً
يتلائم
مع الزمن الحرّ
لإعادة الاعتبار
والموثوقية
لصحافتنا الأصلية**



سجلت البحرين هذا العام المرتبة 173 من أصل 180 دولة.

أحد أسباب هذا الترتيب هو قانون الصحافة الذي ناقشه البرلمان مؤخراً بعد غياب طويل امتد لأكثر من 22 عاماً، وهو لا يختلف كثيراً عن القديم، وتضمن أيضاً التفسيرات المتعددة والملتبسة وأبقى على ذلك الجسر الدائم مع قانون العقوبات الذي يُجرّم الكلمة وحرية التعبير.

غادرت الجماهير الصحف الورقية واتجهت إلى الإعلام البديل تلمس المعلومة الصحيحة والموثقة من هنا وهناك وسط سيل جارف من الأخبار والتقارير الحقيقية والمزيّفة والتي لا يعرف كذبها من صدقها، فما أحرانا أن نعتمد قانوناً متطوراً يتلائم مع الزمن الحرّ لإعادة الاعتبار والموثوقية لصحافتنا الأصلية، وأن نخلق البيئة الإعلامية المتنوعة لملء الفراغ الكبير الذي تعانيه الصحف بفعل الرقابة المشددة والمقيّدة لحرية الرأي والتعبير، وقديماً قال الفقهاء: تتغيّر الأحكام بتغيّر الأزمان.

زيارة ترامب.. الشرق الأوسط إلى أين؟!

من السابق لأوانه الحكم على نتائج زيارة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية دونالد ترامب لمنطقة الخليج، والتي أتبعها بعد أقل من ثلاثة أيام باتصال دام لأكثر من ساعتين مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، ناقشا خلاله إمكانية وقف إطلاق النار في الحرب الأوكرانية الروسية، وسبق كل ذلك الاتفاق الأولي بين الولايات المتحدة والصين حول تعقيدات التعرف الجمركية الجديدة، والتي ألقت بثقلها على العديد من الأمور بين الجانبين وحول العالم بالنسبة للوضع الاقتصادي والتجاري، وزادت بدورها من حالة الاحتقان القائمة أصلاً بين القطبين الأمريكي والصيني، حيث أرغمت إدارة ترامب أخيراً على التوافق بتأجيل البت في قضية التعرف لفترة لا تقل عن التسعين يوماً، لحين التوافق فيما بين القطبين، وذلك نظراً لقوة رد الجانب الصيني على تلك المحاولات الأمريكية.

مؤقتاً، الحرب الدامية على شعبنا في غزة، باعتبار ذلك مطلب عربي طالما تكرر في القمم العربية الأخيرة، ومعه مطلب حل الدولتين، إلا أن ذلك لم يحظ على الأقل بنصيب وافر من تفاصيل الزيارة، وربما بات علينا أن ننتظر لنسمع الكثير من التفاصيل غير المعلنة، رغم أننا سمعنا بملء آذاننا إزدياد دوي القصف والمدافع والوحشية الصهيونية حال انتهت زيارة ترامب للمنطقة، حيث عاد المشهد في غزة أكثر دموية، كما ارتفع معدل عدد الشهداء والجرحى اليومي للمئات، فيما تضع حكومة الاحتلال خطة زمنية جديدة لما اسمته إعادة احتلال قطاع غزة بأكمله وتهجير كامل سكانه!

هنا يبدو أن الصمت الرسمي العربي يحتاج بالتأكيد إلى وقفات ومراجعات عاجلة، ففي خضم ما يجري في عالمنا من تحولات كبرى أليس أجدى أن نعرف كشعوب على الأقل إلى أين تسير دولنا العربية وإلى أي مصير، فما هي سوريا تواجه خطر التقسيم والاحتراق الداخلي، فيما تستمر السودان في الحرب العنيفة دون توقف، وما هي تركيا كما دولة الكيان الإسرائيلي تعبت يميناً وشمالاً في أرضنا العربية، والكل يتحدث عن تقسيم قادم للعراق الذي عقدت فيه منذ أيام آخر قمة عربية، وكذلك هو الحال مع طرح مفهوم جديد بدأ يتبلور في الأوساط السياسية حول إعادة هيكلة منطقتنا الخليجية سياسياً وجغرافياً، فيما نجهل نحن كشعوب عربية وخليجية إلى أين تتجه المنطقة بأسرها؟!

أسئلة نطرحها بألم برسم المشهد العربي، والدعوة تتجه هذه المرة مجدداً للنخب والسياسيين وقادة الرأي في عالمنا العربي الذي بات مهمشاً وبعيداً عن إمكانية التأثير والحضور في المشهد الإقليمي والعالمي، لم تشفع لنا تلك الثروات التي تزخر بها أرضنا العربية، ولم تشفع لنا حتى ممالئتنا لقوى الهيمنة العالمية لنجد أنفسنا مشروراً جاهزاً للتقسيم ومزيداً من الاحتراق والتدمير والنهب، وسط دعوات رسمية لا تصمد أبداً أمام هكذا تحديات عن مشاريع تنموية لا تأتي وإن أتت فإن خيراتها تذهب بعيداً وبعيداً جداً.



عبد النبي سلمان

**الصمت الرسمي
العربي بحاجة إلى مراجعات،
ففي خضم ما يجري في
عالمنا من تحولات
علينا معرفة إلى أي مصير
تسير دولنا العربية مع تزايد
الحديث حول إعادة
هيكلية منطقتنا سياسياً
وجغرافياً، فيما نجهل،
كشعوب، إلى أين تتجه
المنطقة بأسرها**

حتى لا يتبقى أثر لأي استقرار في المنطقة. أمام هذا المشهد المتداخل والمعقد إلى أبعد الحدود جاءت زيارة الرئيس ترامب لثلاث من دول منطقتنا الغنية بالنفط، وسط تكهنات سبقت تلك الزيارة بالإعلان عن أمر مهم سيعرفه العالم لاحقاً من خلال الرئيس الأمريكي، إلا أن المبالغة في الطابع الاحتفالي رسمياً وإعلامياً ربما أفسدت مهمة التركيز المنتظرة من المتابعين، الذين ربما توقعوا من تلك الزيارة، التي وصفت بالتاريخية، من أنها على الأقل ستوقف، ولو

أقول من السابق لأوانه الحكم على الحركة النشطة لإدارة ترامب دبلوماسياً وسياسياً وتجارياً ومنذ تدشين ولايته الرئاسية الثانية، وذلك لعدة أسباب ربما تتعلق أساساً بعدم وضوح الرؤية للجميع تقريباً بمن فيهم حتى الإدارة الأمريكية ذاتها، والتي دلت خلال الأشهر الأربعة المنصرمة أنها سرعان ما تتراجع عن ما تفصح عنه من نوايا وبرامج، بعيداً عن تلك الشعارات الانتخابية العابثة التي زائد عليها ترامب وتم تسويقها على أنها كفيلة باستعادة عظمة أميركا، كما حمل ذلك شعار الحملة الانتخابية الرئاسية ذاتها، والتي تهيأت لها الفرص بصورة تكاد تكون غير مسبوقة، حيث تمتلك هذه الإدارة حالياً أغلبية مريحة في مجلسي الشيوخ والكونجرس، الأمر الذي يعطيها فرصة تاريخية قبل موعد الانتخابات الفصلية القادمة لفرض أجندتها الانتخابية بطريقة تكفل تحقيق جانب كبير من تلك الشعارات رغم الكثير من التحديات والمصاعب التي تواجهها، في عالم يتجه بقوة نحو استعادة تعددته القطبية، وإن بصورة مغايرة.

ومن بين تلك التحديات ما حدث للعالم من تحولات من الصعب العودة عنها فقط بمحاولات شكلية لإظهار حسن النوايا، هو ذلك الذي يجري الآن لأقرب حلفاء أميركا، ونعني بهم دول الاتحاد الأوروبي، حيث تلتئم تلك الدول مع من خرج من تحت عباءتها، كبريطانيا في اجتماعات اقتصادية وعسكرية وأمنية تحسباً لما هو قادم، فيما أطفئت للتو حرباً كانت ستكون مدمرة بكل معنى الكلمة بين الهند وجارتها باكستان، وذلك بطلب عاجل من الأمريكيين أنفسهم، ولو مؤقتاً على الأقل، فيما تسارع الإدارة الأمريكية لإطفاء نزاعها مع جماعة الحوثي في اليمن تحاشياً لأي تصعيدات متزايدة بإغلاق باب المندب وبقية الممرات المائية المرتبطة بالحركة عبر وحول البحر الأحمر، ولكي لا نغفل أهمية الاجتماعات الماراثونية غير المباشرة بين الأمريكيين وجمهورية إيران الإسلامية حول الملف النووي الإيراني، والذي يبدو أن أمامها عراقيل عديدة قادمة، بعضها تشغل فتيله طبيعة الخصومة وانعدام الثقة المعلنة بين الطرفين، وبعضها الآخر من خلال محاولة حكومة الاحتلال الاسرائيلي إشغال فتيله عنوة

(قف)



عن تعثر الإصلاح السياسي العربي



فهد المضحكي

يمثل الإصلاح السياسي العربي تحديات جسيمة بالنسبة للنظم السياسية العربية.

ذلك لأنه لو أخذ بمعناه الحقيقي، أي الانتقال من السلطوية إلى الديمقراطية، لاقتضى ذلك تعديلات جوهرية ليس فقط في بنية النظام السياسي نفسه، ولكن في بنية المجتمع بكافة مؤسساته. والنظم السياسية عمومًا - وفقًا لتصنيف معتمد - تنقسم إلى نظم شمولية، تقضي بالكامل على مكونات المجتمع المدني من أحزاب سياسية واتحادات ونقابات مهنية وجمعيات تطوعية، وإلى نظم سلطوية فيها هامش نسبي من الحركة أمام المؤسسات الاجتماعية، وإلى نظم ليبرالية يتاح فيها لمؤسسات المجتمع المدني أن تنعم بحرية كاملة في النشاط.

ركود بشقيها التنموي والإصلاحي وعلى مستوى الحوكمة. يستشهد البعض بتاريخ الدول العربية على صعيد الاستعمار، كما يشكل الصراع العربي- الإسرائيلي عائقًا ومبررًا لعدم المضي قدمًا. علاوة على ذلك، لم تعط الأحزاب القومية في العالم العربي، في فترة ما بعد الاستقلال، مسألة الإصلاح أي اهتمام، وركزت معظم اهتمامها على الصراع العربي- الإسرائيلي، ومنذ العام 1967 وانتصار إسرائيل على الدول العربية، فقد الخطاب القومي صدقته وإثر ذلك راح الإسلام السياسي يكتسب زخمًا يوميًا بعد يوم. يواجه العالم العربي اليوم، وفقًا لتقارير صادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي وضعها باحثون عرب، ثلاثة تحديات تحول دون المباشرة في عملية الإصلاح السياسي: الأول هو الحكومات والتنوع السياسي، والثاني هو تمكين المرأة، ويتبلور الثالث في الفجوة المعرفية بين العالم العربي وبقية العالم. إضافة إلى ذلك، يجب أن تكون هناك عملية إصلاح مستمرة وتدرجية وجديّة من شأنها أن تضمن توافر جميع الدعائم اللازمة للديمقراطية. تُعد التنمية الاقتصادية جزءًا أساسيًا من عملية الإصلاح السياسي في أي دولة، كما أن للتنمية الاقتصادية حدودها من دون إصلاح سياسي. ففي نهاية المطاف، لا يمكن جذب الاستثمارات الأجنبية من دون وجود سلطة قضائية مستقلة، تضمن أن تُتاح للناس محاكمة عادلة عندما تنشب النزاعات. كما أنه لا يمكن محاربة الفساد من دون صحافة حرة، أو نظام قضائي مستقل، أو برلمان قوي. لذلك عندما يتمّ التحدّث عن التنمية الاقتصادية في معزل عن الإصلاح السياسي فإن ذلك في حدّ ذاته لن يؤدي إلى حدوث تقدم مستدام على صعيد الإصلاح في العالم العربي.

كالإسلام السياسي تقوم على تكفير من لا يؤمن بمنطلقاته ومبادئه، وينهض على أساس التحريم والتكفير، ويريد أن يفرض على المجتمع رؤية للعالم تتسم بالانغلاق والتزمت، وتتصف بمعادة الآخر والحض على كراهيته بل والجهاد ضده، سواء كان هذا الآخر عربيًا مسلمًا، ولكنه علماني أو ليبرالي، أو كان غربيًا أوروبيًا أو أمريكيًا. وهذه السلطوية الثقافية تقوم في الواقع- حتى لو لم تستخدم العنف - بالإرهاب المعنوي للمجتمع. وهكذا يتبين من العرض السابق أن السلطوية لها وجوه بشعة متعددة، الوجه السياسي، والوجه الاجتماعي، والوجه الثقافي. غير أنه يمكن التأكيد أن البداية بالإصلاح السياسي هي الخطوة الأولى الحاسمة لمواجهة السلطوية الاجتماعية والسلطوية الثقافية.

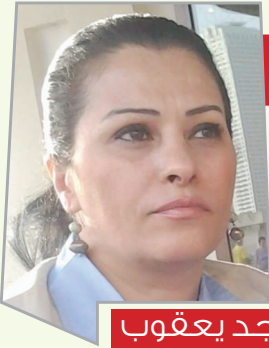
غير أن الإصلاح السياسي العربي يتنازع في الواقع تياران: تيار الأنظمة السياسية الحاكمة التي تدعو للتدرج، وعدم الخضوع للضغوط الخارجية، وتيار المعارضة العربية الذي يرفض ذريعة التدرج، ويدعو إلى صفقة شاملة للإصلاح، لا تتضمن فقط إلغاء قوانين الطوارئ والمحاكم الاستثنائية والتشريعات المقيدة للحريات العامة، ولكن تشترط أن تعلن خطة متكاملة للإصلاح فيها مراحل زمنية محددة، والتزامات تنفذ في كل مرحلة، حتى لو كان الإصلاح السياسي يبدأ بتغيير الدستور القائم، أو وضع دستور في البلاد التي ليس فيها دستور، يحدد العلاقات بين الحاكم والمحكومين ويبيّن بوضوح وجلاء الحقوق والواجبات. ثمة سؤال يطرحه الكاتب والمحلل السياسي مروان المعشر، وهو، لماذا يتعثر مسار الإصلاح في العالم العربي ؟ وفي تقديره تتعدد أسباب قبوع العالم العربي في حالة

في حديثه عن تحديات الإصلاح السياسي العربي، يقول الكاتب والمفكر الراحل السيد ياسين ، تصبح عملية التحول الديمقراطي عبارة عن الانتقال التدريجي أو السريع - بحسب الأحوال - من النظم الشمولية والسلطوية إلى الديمقراطية والليبرالية، وهذه العملية ليست هيئة ولا ميسورة. فسواء تمت تحت ضغط شعبي عنيف، أو بناء على اختيار طوعي وحرّ من قبل النخب السياسية الحاكمة، فهي تحتاج إلى استراتيجية فعالة، تضع في اعتبارها في المقام الأول القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المناصرة للتغيير والمتحمسة لإجرائه، حتى لو أدى ذلك إلى المساس ببعض مصالحها الطبقية أو التقليل من نفوذها السياسي. ومن ناحية أخرى لا بد لهذه الاستراتيجية أن تلتفت إلى عملية مقاومة التغيير التي ستتصدرها فئات متعددة، من بينها بعض أنصار النظام القائم حفاظًا على نفوذها السياسي وامتيازاتها الطبقية. وتصبح هناك حاجة لوضع سياسات تحيّد هذه المقاومة للتغيير بطريقة سليمة وليس بالأسلوب الأمني. غير أن السلطوية السياسية هي أحد جوانب السلطوية المتعددة، لأن هناك أيضًا سلطوية اجتماعية وسلطوية ثقافية.

والسلطوية الاجتماعية تبدو في صورة هيمنة طبقة اجتماعية محددة أو شريحة اجتماعية مؤثرة على باقي الطبقات الاجتماعية. وقد تكون هيمنة هذه الطبقة تجد جذورها في التاريخ أو في التقاليد أو في الوضع السياسي، ولكنها في جميع الأحوال تقوم بدور سلبي للغاية، لأنها يمكن أن تجمد الوضع الاجتماعي، بل أنها قد توقف التطور الحضاري للمجتمع. أما السلطوية الثقافية فهي تلعب في المجتمع العربي أدوارًا سلبية متعددة. ذلك أن بعض التيارات الثقافية



قضايا عربية ودولية



وقفة

شرُّ البلية ما يُبكي

مجد يعقوب

تحدث الابتلاءات دون مشيئة، وربما تأتي دون حسابان، سواء كانت ابتلاءات فردية أو جمعية، إلا أن الابتلاء الأكبر التي لا يد لنا فيها وليس عليها سلطان والابتلاء الأشر الذي وقع على الشعب الفلسطيني، ليس الاحتلال وحده، لأنه عدو، والتاريخ يثبت أنه سيزول عاجلاً أم آجلاً، وليس ابتلاء تخلي العرب والعالم بأغلبيته عنهم، إنما هو ابتلاء في قادة هذا الشعب العصي عن الانكسار.

عملهم وشغلهم الشاغل يتراوح بين إطلاق الشعارات واللعب على عواطف الشعب، منظرين ومحللين، مشخصين، خطابين مفوهين، و منفيين جيدين لأجندات خارجية ضحيتها المئات بل الآلاف، ناهيك عن الدمار والخراب والبؤس والعوز والجوع.

لم يختر الفلسطينيون قاداتهم، بل جاؤوا جاهزين بعدتهم وعنادهم ليشكلوا مثلباً حاداً يجز أعناقهم، فيما المفترض أن من حقهم، أي الفلسطينيين، اختيار قاداتهم سواء في الداخل الفلسطيني أو في الشتات وهذا لم يحدث قطعاً.

ابتلينا بقيادة أصغر من الشعب، لم يحترموا دماء الشهداء، دموع الثكالي، الضريبة التي يدفعها الشعب نتيجة أفعالهم ومواقفهم، بعيدون كل البعد عن ألامهم وتضحياتهم، وحققهم في تقرير مصيرهم.

زعيم السلطة الفلسطينية والتي جردتنا من حقوقنا، ولم يعترف بها الشعب عامة كممثل له، يريد التدخل في تهدة النزاع بين الهند وباكستان، والتدخل لتهدة الأوضاع في اليمن، بينما لم يذكر ما يحدث في غزة إلا لأجل الاستجداء والترجي.

شرُّ البلية ما يبكي أن يقع هذا الشعب العظيم بين مطرقة الاحتلال وسندان قادة مأجورين.



القمة العربية في بغداد

أراضيها.

يظهر شعار القمة العربية «بغداد السلام تحتضن قضايا العرب» على أهمية القمة بالنسبة للعراق الذي عانى من صراعات وحروب استمرت لعقود، وتتطلع بغداد من استضافتها للقمة لاستعادة دور العراق الاقليمي وتعزيز العمل العربي المشترك، ورغبته في ترسيخ مكانته كطرف فاعل على الساحة العربية والاقليمية بعد سنوات من العزلة السياسية من جانب، وتعزيز التعاون السياسي والامني مع الدول العربية من جانب آخر. بالإضافة إلى سعي العراق لتحقيق توازناته بين الصراعات الحالية في المنطقة، لاسيما وأن موقع العراق الجغرافي المتميز وحسن علاقاته مع دول الجوار يجعله

لاعباً اقليمياً بارزاً في المنطقة.

كما يسعى العراق أيضاً إلى تحقيق التعاون الاقتصادي، حيث دعا رئيس وزرائه محمد شياع السوداني الدول العربية في القمة إلى الإسهام في مشروع طريق التنمية، وهو مشروع ممر بري وخط سكك حديد يربط الخليج العربي بتركيا عبر ميناء الفاو، لتحويل العراق مركزاً للعبور بين الشرق والغرب، لتعزيز التجارة الدولية ولتحقيق التكامل الاقتصادي في العراق والمنطقة. بهدف خلق بيئة استثمارية عربية مشتركة وتفعيل اتفاقيات التعاون الاقتصادي بين الدول العربية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، وهذا بدوره سيدفع التعاون في مواجهة التحديات التي يمر بها العراق ودول المنطقة.



إيمان الشايخ

في خضم التحولات السياسية والتحديات الاقليمية التي تشهدها المنطقة العربية تأتي القمة العربية بنسختها الرابعة والثلاثين في بغداد، تحت شعار: بغداد السلام تحتضن قضايا العرب، وذلك بهدف توحيد المواقف العربية في ظل الظروف الإقليمية المعقدة القائمة، حيث استضافت العاصمة العراقية بغداد في السابع عشر من مايو قادة الدول العربية إلى جانب ممثلي منظمة الامم المتحدة ومنظمة التعاون الاسلامي والاتحاد الافريقي، لمناقشة عدة ملفات في مقدمتها القضية الفلسطينية، حيث أكد البيان الختامي للقمة على ضرورة الوقف الفوري للعدوان الإسرائيلي على غزة ودخول المساعدات الإنسانية إلى القطاع، كما تم التأكيد على دعم الخطة

العربية لإعادة إعمارها، إلى جانب ذلك، دعت القمة العربية أيضاً في بيانها إلى الحفاظ على أمن لبنان وسوريا ووحدة أراضيها، وأدانت الاعتداءات الإسرائيلية على الأراضي اللبنانية والسورية. أما بالنسبة للملف السوداني والليبي، فقد أشار البيان إلى أهمية حماية سيادة السودان ومنع انهيار مؤسساته، من خلال تشكيل حكومة مدنية منتخبة.

حيث أدت الحرب بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع إلى تفاقم الأزمة الإنسانية في السودان. وأما بالنسبة لليبيا والتي تعاني من فوضى سياسية وأمنية منذ سقوط نظام القذافي، فقد أكد البيان الختامي للقمة على ضرورة إنهاء التدخلات الخارجية والالتزام الكامل بسيادة ليبيا ووحدة

هل شاخست الماركسية؟

عندما يدور نقاش حول النظرية الماركسية في أوساط المثقفين وتحديداً من يحمل الفكر الماركسي، يطرح السؤال: هل مازالت الماركسية صالحة أم شاخست، في ظل عالم يتطور بشكل مذهل، ويشهد تطورات علمية هائلة في عالم التكنولوجيا وصولاً إلى الذكاء الاصطناعي؟

تعاطى ماركس مع العلم، لهذا جاءت أفكاره وفق منهجية علمية، وليست مجرد فرضيات. فعلى ماركسي اليوم البحث عما هو جديد لتشكيل إضافة للفكر الماركسي الذي يستند في تفسيره للعالم على العلم والمعرفة، وليس عبثاً قيل إن النظرية الماركسية ليست لتفسير العالم بل لتغييره، وطالما وجد استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وغابت العدالة الاجتماعية والمساواة ستبقى الأحزاب الماركسية تناضل من أجل التغيير المنشود، حاملة الراية الماركسية جيلاً وراء جيل لتحقيق ذلك الهدف الأسمى، من هنا تبقى الماركسية ملهمة للملايين من العمال والكادحين في العديد من بلدان العالم، فالرأسمالية بأعلى وضعها الاقتصادي والعسكري وصولاً إلى الإمبريالية المتوحشة ليست قدر البشرية، ومن يعتقد هذا مخطئ، وعلى الماركسيين دراسة التجربة الصينية والاستفادة منها.

وهناك اتجاه ينظر إلى المجتمع على أنه نسق معياري ويركز على العوامل الاجتماعية، واتجاه طبيعي يسعى لتفسير الصراع بالاهتمام بالأسباب الاجتماعية والثقافية الكامنة التي بسببها يظهر الصراع في وجود حاكم ومحكوم وأمر ومأمور داخل المجتمع، فكما هو معروف أينما وجدت القوة والسيطرة وجد الخضوع والاستغلال، إن هذه السيطرة والقهر وما يجعل من التنظيمات الاجتماعية متسقة، هو نفسه يدفع إلى التمرد والتغيير الاجتماعي وإعادة تقسيم القوة وتركز السلطة، فالصراع دائماً ما ينشأ بين مواقع السلطة ومواقع الخضوع. وعليه فالصراع دائماً ما يتولد من علاقات السلطة إلى علاقات الإنتاج كما يقول ماركس.

عن نشوب الصراع، ومن وجهة نظر ماركسية، فإن قضية العدالة الاجتماعية تعد متغيراً بنيوياً في إنارة الصراعات الاجتماعية طالما أن هناك توزيع غير عادل للثروة.

باركن والصراع في المجتمعات الحديثة

جاءت أفكار فرانك باركن حول القيم والصراع في أحد مؤلفاته المهمة عن اللامساواة والطبقية والنظام السياسي والترج الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية والشيوعية كمحاولة للعودة إلى أفكار وتصورات ماركس الأصلية، حيث حاول تحليل المصادر الاجتماعية المؤدية للاستقرار في المجتمعات الحديثة معتبراً أن سبب الصراع راجع إلى الامتيازات التي تتمتع بها فئة دون أخرى، وإلى الاختلافات في القيم وفي الوعي بين الطبقات في المجتمع مما يولد حراكاً اجتماعياً.

ستبقى الأفكار الماركسية مؤثرة في المجتمعات، طالما هناك وجود للصراع الطبقي واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وغياب العدالة الاجتماعية والتوزيع غير العادل للثروة، وانعدام المساواة والديمقراطية، فالنظرية الماركسية فلسفة وعلم يتطوران باستمرار بفضل إبداعات المفكرين الماركسيين بقراءة "الواقع الملموس" مثلما قال عنه ماركس. لهذا الماركسية لن تشيخ، ومن يعتقد ذلك عليه مراجعة أفكاره ومواقفه.



فاضل الحليبي

عندما اكتشف ماركس قانون تطور المجتمع منذ بدء التاريخ ربطه بشكل ديكالكتيكي بنشوء المجتمعات من المشاعية البدائية وصولاً إلى المجتمع الرأسمالي، فهذا علم، وفي عرضه لقانون التطور التاريخي قال ماركس: "إن البشر، أثناء الإنتاج الاجتماعي لمعيشتهم، يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ضرورية مستقلة عن إرادتهم، وتطابق علاقات الإنتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية". وكان ماركس يدرس التاريخ لمعرفة التغيرات التي حدثت في العالم، هو الذي درس الفلسفة الألمانية، خاصة هيغل وفيورباخ واستفاد منها في الترابط الديالكتيكي للمادية الجدلية، كما درس الاقتصاد البريطاني والاشتراكية الفرنسية.

من هنا على الماركسيين في يومنا هذا الاستفادة من المعارف العلمية والإنسانية في تطوير المفاهيم والمصطلحات لتتعاطى مع الواقع الملموس، فما هو صالح لما قبل مائة وخمسين أو مائتين سنة بحاجة إلى تطوير، فالعلم يتطور بشكل سريع، حتى وإن وجدت مفاهيم ثابتة كالصراع الطبقي طالما بقي التفاوت بين الأفراد في المجتمعات، واستمرت الطبقة الرأسمالية أو الإلجبارشية المالية تستحوذ على كل شيء في المجتمع، والطبقة العاملة والكادحة لا تملك غير أجرها. يقول ماركس: "إن التاريخ هو تاريخ الصراع الطبقي"، فهو المحرك الأساسي للتاريخ. عندما انتصرت الثورة البلشفية بقيادة فلاديمير لينين وسقط النظام القيصري في روسيا في أكتوبر من عام 1917 حُوربت الثورة الاشتراكية من الأعداء الداخليين والخارجيين ولكنها صمدت في وجه كل المؤامرات، وفي الحرب العالمية الثانية هزم الجيش الأحمر السوفيياتي الجيش النازي الألماني في التاسع من مايو 1945، وبرز الاتحاد السوفيياتي كقوة عظمى ومعه دول المنظومة الاشتراكية، ولكن القوى الرأسمالية عملت طوال تلك العقود التالية على إنهاء النظام الاشتراكي، وتحقيق لها ذلك في نهاية الثمانينيات وبداية تسعينيات القرن الماضي.

حذر لينين قائلاً: "إن السلاح الأخير في يد الإمبريالية والرأسمالية هي أبستمولوجيا المعرفة التي سوف تعمل على هدم الأسس النظرية للمعرفة بسبب فشلها في ربح المعركة الفلسفية والمنطقية مع المادية الجدلية والمادية التاريخية"، وكتب أحدهم قائلاً: "لا تزال الفلسفة السياسية

لكارل ماركس ذات صلة بالعالم الحديث، لأنها تقدم عدسة نقدية يمكن من خلالها فحص وفهم ديناميكيات السلطة، وعدم المساواة والتغيير الاجتماعي. إن تحليل ماركس للرأسمالية وتأكيده على دور النشاط البشري والأمل يتردد صداه مع المناقشات الجارية حول العدالة الاقتصادية وحقوق العمال، والسعي إلى مجتمع أكثر إنصافاً، حيث لا تزال الفوارق في الثروة وعدم المساواة قائمة وقد أشعلت أفكاره حركات وثورات، حيث يسعى الأفراد إلى خلق مجتمع يعطي الأولوية لرفاهية جميع أفرادهم".

يعالج أحد الأبحاث المنشورة اطروحات وأفكار لشخصيات يقال عنها بأنها ماركسية من أمثال رالف داهرندروف وفرانك باركن ودافيد لوكود، تتناول كيف حافظت الماركسية الحديثة على المضمون الماركسي مع تعديل مفهوم الصراع، وسعت لتطوير علم الاجتماع مركزة على عناصر الصراع والتغيير.

نبدأ باستعراض بعض أفكار ما يطلق عليها الماركسية الحديثة، حول تحديث أفكار الماركسية الكلاسيكية التطويرية التي اتخذت من الصراع مدخلاً وظيفياً للعديد من الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المتغيرة، بالدعوة إلى: "أن يقوم علم الاجتماع ويطور ذاته عن طريق دراسة لعناصر الصراع والتغيير".



الدولة المنبوذة



جلال إبراهيم

لميثاق الأمم المتحدة. ورغم كل القرارات الدولية التي تدين الاستيطان، تواصل إسرائيل سياسة التهويد والإجلاء القسري للفلسطينيين. المثير للسخرية أن يصدر تصريح كهذا من ننتياهو الذي قال: «حان الوقت أن نتوقف قطر عن التلاعب بالرأي العام بخطاباتها المزدوجة، وأن تقرر إن كانت ستقف إلى جانب الحضارة أم إلى جانب همجية حماس!». فقاتل الأطفال والنساء، ومرتكب المذابح في غزة - التي تجاوزت في وحشيتها جرائم النازيين بقيادة هتلر بحق الشعوب الأوروبية - يُعطي دروساً في الحضارة وقيمها!..

قد يتخيل البعض أن إسرائيل لا تعاني من عزلة دولية أو منبوذة، نظراً لما تحظى به من دعم اقتصادي وعسكري غير محدود من الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الكبرى في أوروبا. لكن الصورة الحقيقية في ضمير العالم تجسد إسرائيل ككيان مُلوث بدماء الفلسطينيين، بسبب جرائمها البشعة ضدهم.

والسؤال الأكثر إلحاحاً: كم من الدماء الفلسطينية يجب أن تسيل كي تفقد إسرائيل حصانتها الدولية؟ فمنذ النكبة عام 1948، لم تنجح جرائم الحرب المتكررة - من دير ياسين إلى صبرا وشاتيلا إلى غزة 2024 - سوى في تعميق العزلة الأخلاقية للكيان الصهيوني. اليوم، بينما تحتل إسرائيل المرتبة الأولى في تقارير انتهاكات القانون الدولي، فإنها تحتل أيضاً مركز الصدارة في مقاطعات الأسواق العالمية وحركات المقاومة السلمية. هذه المفارقة تكشف زيف الادعاء الصهيوني بـ«الدولة الديمقراطية»، وتؤكد أنها لم تعد سوى دولة مخازي في ضمير الإنسانية.

لذلك ما عادت إسرائيل قادرة على إخفاء حقيقتها كدولة مارقة تنتهك كل المواثيق الدولية. الشهادات تتراكم من داخل الكيان الصهيوني نفسه، والمواقف الدولية تبدأ بالتحول وإن ببطء، لكن رياح التغيير لا يمكن وقفها. التاريخ لن يرحم من يقف في الخندق الخاطئ، ولن ينسى دماء الأطفال الفلسطينيين التي سالت على مذبح المشروع الصهيوني.

وشهد شاهد من أهلها، هذا ما ينطبق على تصريحات الزعيم الإسرائيلي يائير غولان: «إسرائيل تتجه لأن تصبح دولة منبوذة بين الأمم، والدولة الطبيعية لا تخوض حرباً ضد المدنيين، ولا تقتل الأطفال كهواية، ولا تضع لنفسها هدفاً يتمثل في تهجير السكان. الحكومة مليئة بأشخاص تتملكهم مشاعر الانتقام، ولا أخلاق لديهم، وهي عاجزة وتشكل خطراً على وجودنا».

أثارت هذه التصريحات الجريئة حفيظة المسؤولين الكبار في الدولة الصهيونية، حيث علق وزير الخارجية الإسرائيلي بأن تصريحات غولان «معادية لإسرائيل وجيشها»، بينما وصفها وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير بأنها «افتراءات دموية معادية للسامية ضد دولة إسرائيل». أما وزير الدفاع والاتصالات الإسرائيليان فكانا الأكثر انفعالاً؛ حيث دعا الأول إلى نبذ غولان لتشبيهه إسرائيل بالنازية، بينما وصفه الثاني بـ«الإرهابي» بسبب تهديده الأمن القومي الإسرائيلي.

ومع اشتداد الحرب والحصار على غزة، وتجويع أهلها حتى الموت، بدأت بعض الدول الغربية مراجعة مواقفها الداعمة لإسرائيل. وكان آخر هذه المواقف إدانة قادة فرنسا وبريطانيا وكندا - بتحفظ - للحملة العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة، حيث اعتبر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو موقف هذه الدول بمثابة منح حركة حماس «جائزة كبرى».

في ظل نظام دولي فاقد للتوازن على مستوى قيم العدالة والسلام، تبرز إسرائيل كنموذج صارخ للدولة المنبوذة والمارقة أخلاقياً وقانونياً، ليس بسبب عزلتها الجغرافية والاقتصادية خارج المعسكر الرأسمالي الغربي فحسب، بل وبسبب ممارساتها العنصرية وانتهاكاتها المتكررة للقانون الدولي، عبر شن حرب إبادة ضد الفلسطينيين.

منذ احتلالها لفلسطين عام 1948، ثم الضفة الغربية والقدس الشرقية عام 1967، لم تتوقف إسرائيل عن توسيع المستوطنات غير القانونية، التي يُعتبر بناؤها انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي وفقاً

مع اشتداد الحرب والحصار على غزة، وتجويع أهلها حتى الموت، بدأت بعض الدول الغربية مراجعة مواقفها الداعمة لإسرائيل، وإدانة حربها على القطاع ولو بتحفظ

لماذا فقد المعلم هيئته؟

BRENDAN FRASER
THE
WHALE

هذه مقالة تبحث فيما هو صحيح وما هو خاطئ...لعلكم تقولون: رأي. ولكنه أيضًا يلامس الصواب...لأنه يبحث ضمن هذا الواقع التربوي وتحولاته، وعن أسباب هذه التحولات.

بين أن تكون مُهابًا أو تكون محبوبًا يتأرجح ميزان التربية العادلة، مائلًا بثقله لإحدى الكفتين اللتين لا يمارس المعلم فيهما الفعل بقدر ما هو منفعل ضمن سياق كبير يمارس فعله في التربية النفسية للمعلم والطالب والأسرة قبل دخول كل من الطالب والمعلم إلى المساحة الوطنية لصناعة الكائن المنضبط التي نسميها: "المدرسة".



أحمد السعيد

الأمر لفلسفة نفسية أيضًا، وهي هنا فلسفة نفسية تقوم على مفهوم: الذات فوق كل شيء. هذه الذات وهذا الفرد له أهمية تفوق الآخرين في محيط الأسرة والأصدقاء. وفقًا لهذه النصائح نرى هذه الذات وكأنها تبدو فضة وغير محترمة وتحاول فرض قوتها على كل شيء؛ ثم لست أدري هل يخلق هذا النوع من التوجيه النفسي كائنًا قويًا حرًا، أم معزولًا منبوذًا؟ إننا نشكو اليوم أكثر ما نشكو من مصطلح "نرجسية" الذي يحدث إما نتيجة التربية المفرطة في المساواة أو التربية المفرطة في الدلال. ويبدو أن رواج المفهوم لا يخلو من واقع، حتى أصبح تصنيف أي علاقة في الحياة يقع ضمن مفهومين "السامة" و"النرجسية" الذي يحل أحدهما بوصفه رديفًا للآخر، ويتحمل جزء منه نمط التربية الحديث الذي يبقى ذات الطفل دائمًا في حالة انتظار كلمة: نعم. ورفض كلمة: لا. وهو ما يتعامل به في علاقاته اللاحقة بوصفها علاقات قائمة على تلبية الرغبات إما المفقودة بشكل كلي، أو دائمة الحضور.

حول فيلم The Whale

هذا التحول في البنية التربوية ساهمت فيه السينما والأدب اللذان صاغوا صورة مثالية حول الأبوة تتخطى صورة الأبوة التقليدية (الموقرة) سعيًا إلى أبوة حضارية منشودة (الأبوة الحانية والمحبوبة).

يوجه المخرج "دارين أرنوفسكي" صرخته ضد كل ذلك في فيلم The Whale (2022) وهو عمل سينمائي بديع يمثل بطولته الممثل "بريندان فريزر" عارضًا الأمراض الثلاثة للحداثة: "البداية، التمحور حول الذات، والنظرة المادية للعلاقات الروحية". حيث يمثل دور: معلم أدب إنجليزي وأب لابنة مراهقة، وزوج منفصل عن زوجته.

تتجلى الرؤية النقدية في الفيلم عند اللحظة الأخيرة التي تمثل خاتمة مفتوحة على البياض الذي يغطي الشاشة، هذا البياض الذي يغطي الشاشة يبدأ عند اللحظة التي ينتهي الحضارة الحديثة بماديتها أن تؤثر في العلاقات، وهي اللحظة التي تبدي فيها الابنة المراهقة تعاطفًا اتجاه والدها، هذا الوالد الذي لم تعرف من صورة العلاقة بينها وبينه غير الصورة المادية، فهي صورة تتجلى في صغية ابنة لا تحترم والدها، ووالد يقدم كل شيء دون القدرة على فرض نفسه. إن هذا البياض هو الذي يمثل الأمل، وعودة الروح للروح في زمن الجفاف والتحصن الشعوري حتى بين أقرب العلاقات حساسية: البنوة والأبوة.

مؤخرًا جمعني حديثٌ مع رجل يكبرني بعشرين عامًا تحدثنا فيه عن جيله وجيلي الذي نعتبره آخر جيل تلقى ضربة قاسية على واحد من مواضع جسده بسبب التقصير في واجباتنا بوصفنا طلابًا، ذلك ما جعل هذا الرجل يخرج من مدرسته في الصف الثالث ويعود لها بعد ذلك متأخرًا عن أبناء جيله، وجعلني أكره مادة اللغة الإنجليزية لسنوات. هذه مقالة إذن لا تدعو لمثل هذه القسوة السلبية، ولكنها ليست مع فقدان هيبة المعلم، وعدم قدرته على فرض كلمته احترامًا. فبين اللين والقسوة يفقد خيط الحزم الدقيق سمته اللازمة.

مع نقد القسوة السلبية لم نصل إلى ما يجب، أي إلى ذلك التوازن الذي يخلق بين الطالب والمدرس علاقة ودية تقوم على توفير المعلم اللازم ومراعاة الطالب الذي يحترم أستاذه، بل وصلنا إلى نوع من انتقال الهيبة من المعلم إلى عموم طلبته، لدرجة لا يمكن فيها لكثير من المعلمين - وكما يشير صديقي (ج. ي.) الذي يدرس مادة التاريخ والجغرافيا - أن يضبط صفا مكونًا من خمسة وثلاثين طالبًا حتى بصرخة تعيد الحالة إلى وضع السيطرة، وذلك ليس مراعاة للطالب بل بدافع الخوف. ولكن من ماذا ولماذا؟

من أولوية الأسرة إلى أولوية الذات

أعتقد أن المسألة تتخطى ما هو في يد كل من المدرس والمدرسة والطالب، إلى تغير قد طرأ على البنية التربوية عمومًا. لذا لن أتحدث عن مساحة التربية المدرسية بقدر ما يحدث فعليًا ضمن نطاق أوسع: في الأسرة، وقبلها في الإعلام والثقافة.

نحن، جيل بداية التسعينات وما يسبقه تمت تربيتنا ضمن سياق مختلف تقوم بنيته على أولوية الأسرة، أما بنية التربية الحالية فتقوم على أولوية الذات. كانت أقصى أمان الأب في بيته أن يكون مُهابًا، بينما أصبحت أمان الأبوة اليوم تتمحور حول مفهوم المحبوبة: (أن يكونوا محبوبين). ما زلت أذكر حين يُقبل والدي علينا في البيت، كيف أنه لا يمكن أن نبقي مستلقين على الأريكة؛ كان يقول لنا: "ليس على الشاب في عمركم أن يستلقي هكذا متخذًا وضعية (التنبلة)". ولازلت أذكر كيف تقوم أُمي بتهديتنا، أو منعنا من اللعب زاجرة: «هش، والدكم يأخذ قيلولته بعد تعب يوم شاق". إن الهيبة التي للأب والاحترام الذي يوليه الأبناء للآباء هو ما تشترطه التربية الإسلامية: "فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما" لأن المحبة من الله على سعة القلب أما الاحترام فهو اختيار تربي عليه الذات،

وهي تربية ضرورية، بل واجبة.

هذه الرغبة من الآباء في أن يحظوا بالمحبة الزائدة من الأبناء جعلت منهم آباء ذوي صيغة هجينة: لا هم غربيون خلص ولا شرقيون خلص؛ يمسحون على رؤوس أبنائهم في اللحظة التي يحتاجون فيها إلى التفرغ، ويدارونهم في اللحظة التي تستوجب شيئًا من الصرامة والحزم.

قبل دخول طالب جيل الثمانينات إلى المدرسة كان قد تلقى شيئًا من قسوة أبيه - ولست في صدق التصنيف الإيجابي أو السلبي، فجميعنا يعرف ما هو إيجابي وما هو سلبي بديهيًا - كما تلقى طالب هذا الجيل شيئًا من تدخل جاره أخذًا إياه من الشارع نحو أمه لأنه كان حافي القدمين، وكان ربما قد انتصر في نزاع مع أقرانه على لعبة من ألعاب الحي أو هُزم. كانت هناك تهيئة نفسية على أن يقبل الطفل شيئًا من صرامة التربية المدرسية، أو أن يحل أموره بنفسه قدر الإمكان دون اللجوء إلى والديه لحل نزاعاته البسيطة ومشاكساته بين الأقران. وعلى أي حال لا بد للمرء أن يفهم ويلمس شيئًا من هذه القسوة في حياته ليتوازن، إما في طفولته ومن قبل أهله أو أهل الحي والأقران، دون ذلك سيحصل عليها من صفعات الحياة في ما بعد.

أوليات ما وراء علم النفس

كنت أتابع حلقة للطبيب النفسي (ي. ح.) وقد كان ينصح الأبناء بعدم السماح لأبائهم أن يصرخوا عليهم، وبأنهم يجب أن ينفقوا في وجه الأب ليمنعوه من ذلك؛ (لا شيء يجب أن يمس هذه الذات، أو يقوم بتعقيدها). تابعت حلقات أخرى له أيضًا، وبالرغم من أن ما يقوله يبدو أنه يساهم في تقوية النفس، إلا أنه يضعفها على المدى الطويل ويجعلها هشة. يخضع الأطباء النفسيون، إضافة إلى العلم، وفي نهاية



حسين آل ربيع

والإنساحب تحدده الأكثرية التي تم التأثير عليها نفسياً ومعنوياً وتم إغراؤها بالجائزة المعلقة فوق رؤوسهم. يمثل هذا التصويت شكلاً من أشكال البراغمية الديموقراطية، فالمعيار الوحيد للحكم على أي شيء وفق الرؤية البراغماتية هو "النجاح" المتمثل بالفوز بالجائزة الكبرى؛ مراكمة أكبر رقم ممكن من الأموال والممتلكات والشهرة، والتغاضي عن التراكيب المعقدة التي تشكل الإنسان من ذكريات ووجدان وأحاسيس وإرث، يرى د.ع. المسيري أن الحقيقة المقبولة في مثل هذه الأنظمة هي الحقيقة السائدة أو التي تُسهّل التعامل مع الواقع كما هو وليس كما ينبغي أن يكون، وهي بذلك مع ديموقراطيتها رؤية محافظة بل رجعية. أما الطرف المقابل الذي يريد الخروج على /من اللعبة يمثل الرؤية الثورية التي تطرح تصوراً جديداً للواقع مخالفاً للوضع القائم، ويرى المسيري أن المنطق الثوري تقدمي لأنه يفترض وجود تناقض جدلي بين الوضع الكائن بما فيه من سوء وبين ما ينبغي أن يكون، "فالقديم يحتوي جرثومة فئائه التي هي نفسها بذرة الميلاد الجديد، والعقل الإنساني الواعي الخلاق يحتوي الواقع والأشياء ويتخطاها". (د.ع. المسيري / رحلتي الفكرية ص427 / دار الشروق).

تعدّ دول الشرق الأقصى الآسيوية ربما من أكثر الدول تأثراً بنمط الحياة على طريقة الليبرالية الجديدة، ما يشكل حالة سلبية شديدة لاختلاف الثقافة الشرقية عن هذا النمط الحياتي الألي. فترى الشخص الياباني مثلاً يقضي معظم حياته في العمل ويعيش وفق إطار تنافسي حاد في كل مجالات الحياة ومن أبرزها العمل، الكل يريد أن يتفوق على الآخر بأي طريقة كانت واللاوعي يسرّع حركة السوق إلى حدودها القصوى وزيادة ما ينتجه العامل مما لا يسفيد منه أو مما لا يستهلكه، كل ذلك يزيد من غربة العامل عما يُنتج من عمل. تجد الكثيرين منهم يخرج من العمل مرهقاً جداً بعد يوم عمل طويل يستمر من الصباح الباكر حتى أوقات متأخرة من الليل لدرجة أنهم ينامون في محطات القطار والشوارع لشدة الإعياء ولقرط السكر، وازدياد حالات الانتحار بأرقام قياسية بين الشباب والمراهقين أحد الإشارات الخطيرة لحالة الإغتراب والبؤس المنعوي والقلق النفسي الناتج عن شدة المنافسة وازدياد وتيرة سرعة الحياة اليومية.

أعمال مثل "لعبة الحبار" رائعة من ناحية الإنتاج والإخراج و طابع الإثارة والتشويق إضافة إلى أن القصة ليست تشويقية وحسب، بل تحتوي فوق ذلك على جوانب وإشكاليات غاية في الأهمية تحتاج إلى تحليل وقراءة لمابين السطور واستكشاف الثمين المخفي في أحداثها وتلميحاتها ونحن نحاول أن نحلّ ما يمكننا فهمه. صراحة أبهري هذا العمل جداً لكنني لم أرتج للجانب الدموي المبالغ فيه في الكثير من المشاهد. عمل فانتازي درامي بامتياز في فكرته وواقعي في معانيه. بعد كل عمل من هذا النوع نسال أنفسنا سؤالاً: من هو الذي يمكنه أن يحمي الإنسان من أخلاقيات السوق القائمة على المنفعة المادية اللامحدودة وغريزة القوة الشرسة التي تزيح الضمير والأخلاق عن طريقها وتسليع القيم والبشر! من الذي سيقبّل الإنسان من نفسه! لعلنا نقتنص إجابة ما في موسم المسلسل الثالث....!

مسلسل لعبة الحبار واقعٌ متخيّل .. خيالٌ واقعي

من شاهد المسلسل الكوري "لعبة الحبار" في جزأيه لن تفوته الفكرة الأساسية للعمل الذي يتحور حول قضية من أهم القضايا الإشكالية في العصر الحديث وهي: استغلال البشر بجعل ذواتهم أداة قابلة للتسويق من أجل صناعة مجتمعات أكثر استهلاكية ثم إغراقهم في الديون التي يستحيل عليهم سدادها مدى الحياة عبر تفعيل حلم التملك. تكمّن المفارقة (بارادوكس) التي يقدمها العمل بين جدلية الأخلاق البشرية النابعة من الضمير القائمة على التراحم، مقابل أخلاق السوق النابعة من تشييء الإنسان والطبيعة القائمة على القيمة النفعية وفكرة التعاقد (يشير المسيري إلى مفهوم التعاقد الذي يعني به أن تتحول العلاقات البشرية من تراحمية إلى عقود شبيهة بالعقود التجارية).

صنعت الرأسمالية / الإمبريالية باتحادهما النيوليبرالية التي هي أساساً نظاماً سياسياً/اقتصادياً نفعية الغاية فيه تبرر كل الوسائل من أجل مصالح طبقة أو فئة أو مجموعة تستحوذ على الثروات العامة وتسيطر على الموارد الطبيعية. كل شيء سيتمحور حول المال حتى أغلى شيء لدى الإنسان: حياته. وهذه الأموال ستكون محصورة في فئة قليلة من أصحاب الإمتياز بينما الأغلبية الساحقة تتصارع على القليل المتبقي، فتتنافس الفئات المسحوقة على الفئات فيما بينها. يغيب العدل ويغيب الحد الأدنى من توزيع الثروات بالعدل بين فئات المجتمع وطبقاته، يزداد الفقير فقراً والثري ثراءً والتنافس حدة، تصل الذروة إلى جعل الإنسان مادة للاستعمال والاستغلال بل وحتى اللعب والتسلية كما هو الأمر في لعبة الحبار....

في الموسم الأول من المسلسل كان المشاركون يجهلون خفايا اللعبة وأهدافها الحقيقية وكانوا مبهورين جداً بالجائزة المالية الضخمة التي سيحصل عليها أحدهم وهو الفائز الذي تمكّن من تجاوز كل منافسيه بطريقة أو بأخرى. أما في الموسم الثاني يعود الفائز ليشترك مضطراً، حيث يقرر دخول اللعبة (الجحيم) بتحدٍ وإصرار لكشف القائمين على هذه اللعبة الشريرة الدموية وكشف الأهداف اللا إنسانية فيها للمشاركين والقضاء على العقل المدبر؛ الشخصية التي تستهتر بالأرواح عبر الاستغلال والمقاومة بحياة البشر.

داخل اللعبة كان "سيونغ جي هون" (بطل المسلسل) بمثابة المصلح الذي يظهر في مجتمع يسير وفق إغراءات لاوعيه الجمعي بين حياة بائسة وديون ضخمة وجبل من الأموال للفائز. هنا تبرز الأنانية الفردية، فالفائز شخص واحد فقط عليه أن يتخلص من جميع منافسيه وإلا صار هو الضحية، وهذه واحدة من الأهداف الأساسية للعبة؛ أن يقضي المتسابقون على بعضهم أو على أكبر عدد منهم في سبيل الجائزة أو المنفعة الشخصية القصوى. يحاول سيونغ يائساً توعية المتسابقين بأهداف اللعبة وحثهم على تركها والمغادرة، لكن الوضع يزداد صعوبة كلما احتدمت المنافسة. يدرك مصمموا اللعبة ألا يمكن للبشر التخلي عن أطعامهم في الثراء الذي تغذية خيالاتهم، الطمع النابع من حب الذات وحب التملك -وهي غريزة بشرية متأصلة- واستحالة العيش وفق ديون متراكمة في نظام اقتصادي رأسمالي تعاقدى؛ والمحصلة أنهم أمام أمرين إما الفوز/الحياة أو الخسارة/الموت، موتهم جميعاً ونجاة واحد منهم فقط، تشبه إلى حد كبير لعبة الحياة العنيفة على الفهم لعبة البقاء!

ثمّة رمزية مهمة في الاقتراع المحايد الذي صنعه منشؤوا اللعبة (كوسيلة أخرى للخداع وللسيطرة على الفوضى) وكأنّ قرار البقاء

ماذا يعني أن أحبك؟

قرأت مقولة قبل أيام تقول: «إن التربية القائمة على المحبة لا تقبل مقارنة الأبناء بغيرهم من الأطفال، لأن المحبة تستوجب القبول». ونجد آخر يقول: «من يحبك لا يسعى لتغييرك إنما يقبلك مثلما أنت». ولكن هل كل قبول محمود؟ وهل كل توجيه نحو التغيير مذموم؟

صحيح أن مقارنة الأطفال بالآخرين فعل لا يصح، وله تأثيره السلبي على نفس الابن؛ ولكن ذلك لا يعني أن المحبة تعني القبول، بل تعني توجيه الذات بعد معرفة قدراتها من المحب لتكون في أحسن صورة لها، فإذا كنت محباً أباً، صديقاً، زوجاً، فإن واحداً من علامات محبتك للآخر محاولة الانتقال به من حال أسوأ إلى حال أفضل.

تقوم التربية النفسية في المفاهيم الشرقية على إكرام النفس بإكراهها: "المكارم لا تُنال إلا بالمكاره". فأولوية الحق تتقدم على أولوية الذات، أو النفس وهواها الفردي. وقد قسّمت هذه التربية علاقة الأب بالابن تراتبياً، على عتبات سلم يبدأ بالتعليم، فالتأديب، فالصداقة: «علمه سبعا، أدبه سبعا، وصادقه سبعا». إن تخطي هذه السلالم مباشرة نحو علاقة صداقة يبدو أمراً مثالياً. لأن المحبة يدخل فيها أيضاً تقريب المحب للحبيب، والتعبيرات الصادرة عن عدم التأقلم حتى يتوافقان ويتصادقان.

إن هذا المفهوم للمحبة، هو المفهوم التقليدي للتربية الذي عرفناه قبل خطابات الأطباء النفسانيين في زمن الحداثة وأفلام هوليوود: «أنا أحبك، إذن أسعى لتوجيهك عندما تخطئ وتهفو، لا لتكون أنا أو لأقارب ما عندك بما عند الآخرين، إنما لتكون أنت في صورتك الأحلى والأكمل». هذا النمط من التوجيه قد يكون قاسياً أحياناً، يشبه قسوة نيل المكارم، التي لا تُنال إلا بالمكاره على حد تعبير الوشاء. يمكنني أنا أرى في هذا العمر - أنا الذي نالني حظ من قسوة والدي - تلك المحبة الداخلة في قسوته أحياناً، أما اليوم فما بجمعي بآبي هي علاقة الصداقة أكثر منها علاقة البنوة.

هكذا أردت الحديث خارج سياق التعليم ذاته، لأنه يحدث فوق كل هذه العملية ضمن دائرة أوسع. فماداً يفعل المعلم إذا كان الآباء يصطحبون أبناءهم الصغار لبيوت الآخرين، فيشاعبون ويتشقلبون أو يكسرون بعض الحاجيات، فلا يتلقون من آبائهم غير جملة: "انزل يا بابا... عيب يا بابا" بلهجة حانية...! ماذا يبقى للمعلم غير الصمت في مواضع يحتاج فيها الطلاب للضبط، خوفاً من شكوى الطالب للأب، فشكوى الأب للوزارة، فشكوى الوزارة للإدارة، فضبط الإدارة للمعلم الذي يجب عليه دائماً أمام طلابه الخمسة والثلاثين باختلافاتهم أن يسترخي ويستهدي بالله.

أفقر رئيس في العالم

خوسيه موخिका الثوري الزاهد في السلطة والمال



في الثالث عشر من مايو المنصرم إستيقظت أمريكا اللاتينية على خبر وفاة «خوسيه موخिका» الشهير بـ «بي بي» رئيس الأوروغواي السابق، وأهم زعماء اليسار في القارة الجنوبية، وعلى الرغم من أن رحيله كان متوقعاً لمعاناته من مرض بسرطان المرئ في مراحله المتأخرة، وأيضاً لتقدمه في العمر فقد كان يفصله عن بلوغ التسعين عاماً أيام قليلة، إلا أن خبر وفاته شكّل صدمة في جميع أنحاء العالم.

بالنسبة لي فإن خبر رحيل «بي بي» كان محزناً للغاية، فعلى الرغم من أن معرفتي بتاريخه السياسي والإنساني لم يتجاوز الأشهر القليلة، إلا أنها كافية لأدرك أن العالم فقد رجلاً فريداً في هذا العصر، فأول ما يلفت الانتباه لخوسيه موخिका كسياسي يساري اشتراكي هو شعبيته المثيرة للاهتمام بين صفوف الشباب اللاتيني ومحبتهم الكبيرة له، فالاشتراكية في أمريكا اللاتينية وعلى الرغم من جريان اليسار كالدّم في العروق هناك، إلا أنها لا تمر بأفضل أيامها، فثمة شعور بالسخط تجاهها من الأجيال الشابة في مختلف بقاع القارة التي جاءت بعد الثورات ورأت بأم عينها الفرق بين الشعارات الثورية الحاملة والعمل على أرض الواقع، وأن ينال زعيم اشتراكي حالي رضا الشباب ويصبح هو الاستثناء، فهذا معنى واحد هو أن الرجل كان يسير بالفعل في الطريق الصحيح.

أدرك موخिका أنه، وفي عصر المجتمع الاستهلاكي الحالي، فإن معركة الاشتراكية ليست ضد الرأسمالية لكنها ضد الأنانية، وأن الاقتصاد يجب أن يكون هو الأولوية الأولى للدولة، لضمان توظيف ريعه في تأمين الحياة الكريمة لجميع الأفراد، وتوفير الخدمات الأساسية العامة من تعليم وعلاج ووسائل مواصلات وتطوير وتوفير فرص عمل للشباب، وهذا التوجه اليساري الاشتراكي الحكيم هو ما أكسب موخिका إحترام ومحبة الشباب.

والحديث عن موخिका السياسي لا يكتمل دون الحديث عن موخिका الإنسان، فقد عرف في العالم بأنه الرئيس الفقير، عاش حتى وهو فترة رئاسته في بيت مزرعة بسيط في ضواحي مونتفيدو عاصمة الأوروغواي برفقة زوجته لوسيا توبولاسكي، وكنيته ذات الثلاث قوائم «مانويلا»، وسيارته الفلوكس واجن تيتيل موديل 87، وكان يتبرع بـ 90٪ من راتبه الرئاسي لصالح التعليم في بلاده.

كان فيلسوفاً يرى أن الهدف الرئيسي للحياة هو أن يسعد الإنسان، وأن يعطي المعنى لحياته مناضلاً من أجل قضية يجد فيها شغفاً، في أي مجال كان، سياسة أو فناً أو أدباً أو رياضة، وأن يكتفي المرء بالأساسيات من معينات الحياة ليجد الوقت الكافي للاستمتاع بها، وكان شديد الانتقاد للمجتمعات الاستهلاكية والحياة من أجل المزيد من الكسب لأجل المزيد من الشراء في غير الحاجة، وهو القائل: «الحياة هي الشيء الوحيد الذي لا يمكن شرائه من السوق، لا تستطيع أن تذهب إلى البائع وتقول له أعطني ستة أشهر من الحياة؛ إذا إنقضت فإنها لا تعود يجب أن نعيشها بكامل طاقتنا فالحياة معجزة، ميلادنا معجزة يجب أن نكون ممتنين لها».

عرف أيضاً بأنه نصير للشباب، يرى أن المستقبل هو في



فائزة مصطفى

تطوير مهاراتهم وإعدادهم للتعامل الذكي والواعي مع عصر الذكاء الاصطناعي وثورة المعلومات، ومثلما دعا إلى توحيد أمريكا اللاتينية والتعايش السلمي بين مختلف المجتمعات العرقية والأحزاب السياسية والمذاهب الدينية، فإنه كان نصيراً للمهاجرين وطالبي اللجوء، حيث فتح أبواب الأوروغواي للاجئين السوريين ودعا لاندماجهم في المجتمع، كما أن الأوروغواي في عهده كانت من أوائل الدول التي اعترفت بالدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس.

وبالنظر إلى تاريخ الرجل السياسي، نجد أن موخिका وصل لرئاسة الأوروغواي بعد نضال طويل محارباً في صفوف فصيلة «توباماروس» اليسارية المسلحة في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وهي حركة سياسية مسلحة تحارب الدكتاتورية والتمييز الطبقي، وتسعى لتغيير الحكم كما جرت عادة التغيير في أمريكا اللاتينية في ذلك الزمان عن طريق الكفاح المسلح، فهي عاصرت وتأثرت بالثورة الكوبية وبنضال ونهج تشي غيفارا، حيث قاتلت الحكومة واعتقلت العديد من أصحاب النفوذ من السياسيين، وشنت حملات مصادرة لأرصدة كبار المسؤولين الخاصة في البنوك لتوزعها على إطعام الفقراء.

إعتقل موخिका ثلاث مرات، واستطاع الهرب مرتين قبل أن يتم سجنه لمدة ثلاث عشرة سنة في حبس إنفرادي حارب فيه الجنون حتى لا يفقد عقله، وبعد مجيء الديمقراطية في الأوروغواي في العام 1985 خرج موخिका من السجن، ليشكل مع رفاقه من توباماروس جبهة عريضة تضم طيفاً واسعاً من الحراك اليساري والديمقراطي المسيحي، وشغل منصب وزير الزراعة ووزير الثروة الحيوانية، وأصبح نائباً في البرلمان، قبل أن ينتخب رئيساً للأوروغواي في العام 2010 حتى العام 2015، وفي فترة رئاسته ازدهر إقتصاد الأوروغواي وإنخفض معدل الفقر إلى أقل من 5٪ وأصبحت سباقاً في مجال القوانين المدنية وحقوق الإنسان والطاقة المتجددة.

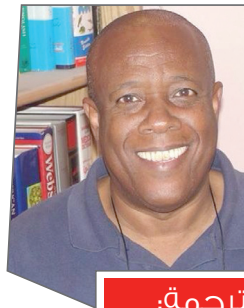
وعلى الرغم من شعبيته الكبيرة ومطالبة الناس وأعضاء حزبه له بالترشح لدورة رئاسة أخرى إلا أنه رفض وقال يوم إنتهاء ولايته: «أشعر بالراحة كمن كان يرتدي حذاءً جديداً ضيقاً وخلعه أخيراً».

ليست محايدة

جائزة نوبل للاقتصاد خاضعة للرؤية اليمينية المحافظة (١ - ٢)

مُنحت جائزة البنك المركزي السويدي للعلوم الاقتصادية تخليداً لذكرى ألفرد نوبل المعروفة بإسم جائزة نوبل في الاقتصاد - لأول مرة عام ١٩٦٩، بعد ثمانية وستين عاماً من قيام مؤسسة نوبل، بناءً على وصية نوبل نفسه، بتأسيس خمس جوائز تحمل اسمه في مجالات الفيزياء والكيمياء والأدب والسلام وعلم وظائف الأعضاء أو الطب. وعلى عكس جائزة نوبل الأصلية، تم تمويل جائزة البنك المركزي السويدي من خارج ممتلكات نوبل، بهدف حزبي هو تعزيز الإقتصاد الكلاسيكي الجديد أيديولوجياً في مواجهة التيارات المتطرفة التي ظهرت في أواخر الستينيات.

من العالم حيث لم يُعيق المناخ والمرض هجرة المستوطنين. في المستعمرات، وخاصة في المناطق الأستوائية، حيث كان معدل الوفيات الأوروبية بسبب الأمراض مرتفعاً، أنشأ المستعمرون الأوروبيون، بدلاً من الإنخراط في الاستعمار الاستيطاني، مستعمرات "إستخراجية" بحتة، حيث أعيدت المكاسب إلى الوطن الأم. في المقابل، حيث نشأت مستوطنات أوروبية كبيرة بفضل المناخ الملائم وإنخفاض معدل وفيات المستوطنين، نشأت "مؤسسات شاملة" أو علاقات ملكية خاصة قوية. وهذا، إذن، يُنظر إليه باعتباره تفسيراً لسبب تمكن المستعمرات الإستيطانية في الولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا، ونيوزيلندا من تعزيز التنمية الرأسمالية الداخلية بينما فشلت المستعمرات الأخرى. ومع ذلك، يمكن الإطلاع على نقد لاذع لأعمال الحائزين على جائزة "نوبل" في الاقتصاد لعام 2024 في مقال نُشر عام 2025 في مجلة Human Geography بقلم شهرام أزهر، أستاذ الاقتصاد المشارك بجامعة باكنيل، ولاية بنسلفانيا الأمريكية. ويحمل مقال شهرام أزهر عنواناً واضحاً: "جائزة دارون أسيموغلو أم جائزة بول باران؟: نقد لجائزة نوبل في الاقتصاد لعام 2024". يُشير Azhar إلى أن Paul Baran قد استبق الحجة الأساسية التي ساقها الحائزون على جائزة "نوبل" من البنك المركزي السويدي لعام 2024 في كتابه بعنوان "الاقتصاد السياسي للنمو" عام 1957. علاوة على ذلك، تناول بول باران هذه القضايا في سياق تحليل أوسع، لا يشمل المناخ فحسب (ومنه أمراض/ وفيات المهاجرين)، بل يشمل أيضاً عوامل مثل مستويات التنمية والمقاومة التي واجهها المستعمرون الأوروبيون. وقد أفضت حجة Baran إلى استنتاجات مخالفة لاستنتاجات الحائزين على جائزة البنك المركزي السويدي. ويذكر البروفيسور أزهر في معرض حديثه عن مقاله، «يُقارن هذا المقال بين نظرية الثلاثة AJR الحائزين على الجائزة، والعمل الرائد للإقتصادي الماركسي البارز Paul Baran، في كتابه سابق الذكر "الاقتصاد السياسي للنمو"، الذي يُعتبر المرجع الأساسي لفهم مشكلة التباعد الاقتصادي طويل الأمد بين الدول: وهي مُساهمة لم تُقدّر حتى ذلك الحين في أعمال الثلاثة AJR. أزعج أن مُساهمة Paul Baran (1957)، التي سبقت أعمال الثلاثة AJR بحوالي خمسة عقود، هي أول من طرح مشكلة أنماط التباعد طويلة الأمد على أنها مُرتبطة إرتباطاً وثيقاً بقضية الإستيطان الأوروبي.



ترجمة:
غريب عوض

بقلم:

عدد من محري مجلة
Monthly Review

سواء من قبل الأكاديمية السويدية أو في أعمال الحائزين على جائزة البنك المركزي السويدي، أن الدول الاستعمارية الإستيطانية نفسها قد أنخرطت في محو وإقصاء السكان الأصليين، كما لم يُلَفِت الإنتباه إلى نظام مزارع العبيد الأمريكي، أو إلى مؤسسات جيم كرو؛ ما أسماه مارك توين "الولايات المتحدة للحكم الفردي" دارون أسيموغلو، سايمون جونسون، وجيمس أروبنسون، "الأصول الإستعمارية للتنمية المُقارنة: تحقيق تجريبي".

كما أشار البيان الصحفي للأكاديمية السويدية، كانت حجة الحائزين على جائزة نوبل لعام 2024 أن الأداء الاقتصادي الجديد يعتمد على المؤسسات الشاملة (ويقصدون بها مؤسسات الملكية الخاصة والرأسمالية المُتجذرة، على نحو ساخر، في نزاع الملكية من أصحابها الأصليين والاستبعاد لأصحابها الأصليين). ولكن لماذا هيمنت هذه المؤسسات المزعومة بالشمولية، في بعض الدول دون غيرها؟ كان جواب الثلاثة المشار إليهم بإسم AJR هو أن هذه المؤسسات الشاملة (الرأسمالية) نشأت حيث وُجِدَت أعداد كبيرة من المستوطنين المستعمرين الأوروبيين، وهو ما حدث فقط في تلك المناطق

كانت الجائزة محجوزة مُنذ البداية لمؤيدي الاقتصاد الكلاسيكي الجديد، وخضعت لسيطرة شديدة على مَ تاريخها من قبل الاقتصاديين المحافظين المرتبطين بمدرسة شيكاغو اليمينية المؤيدة للسوق الحرة. وفي أوقات الأزمات، مُنحت جائزة البنك المركزي السويدي للاقتصاديين الذين تميزوا ببراعتهم في مواجهة التحليلات اليسارية، والدفاع عن المؤسسات الرأسمالية، مُتظاهرين أحياناً بتمثيل تحليلات ليبرالية أكثر شيوعاً. وهكذا، مُنح بول كروغمان جائزة البنك المركزي السويدي خلال الأزمة المالية عام 2008 لدوره كإقتصادي نيوكينزي تقدّمي نسبياً ومُدافع قوي عن النظام القائم، ومُنح ويليام د نوردهاوس الجائزة عام 2018، في وقت الاستعداد لتغيير المناخ العالمي، والذي قلل من أهمية الآثار الاقتصادية لأزمة المناخ والحاجة إلى إجراءات حازمة لتجنب الكارثة ("ملاحظات المحررين"، مجلة Monthly Review، العدد 68، رقم 7 (كانون الأول، ديسمبر 2016)). لذا لا عجب أنه في الوقت الذي كانت فيه إسرائيل، كدولة إستعمارية استيطانية، ترتكب إبادة جماعية بحق الفلسطينيين في غزة، وتقتل وتُصيب أعداداً غفيرة منهم يومياً بأسلحة مصدرها الرئيسي الولايات المتحدة، مُنحت جائزة البنك المركزي السويدي في العلوم الاقتصادية تخليداً لذكرى ألفرد نوبل لعلّماء اقتصاد دعمت أبحاثهم فكرة أن الاستعمار الاستيطاني قد ولد مؤسسات سياسية اقتصادية مُتفوقة وأكثر "شمولية". وهكذا، فاز بجائزة "نوبل" لعام 2024 كل من دارون أسيموغلو، وسايمون جونسون وجيمس أ. روبنسون (يُشار إليهم مجتمعين بإسم AJR) عن أعمالهم في "الأصول الإستعمارية للتنمية المُقارنة". وفي البيان الصحفي لعام 2024 لجائزة "نوبل" التذكارية في العلوم الاقتصادية، الصادر عن الأكاديمية السويدية، ذُكر أن الفائزين قد أرسوا الأساس الذي يُحتمل أن تزدهر بعض الدول وأن تفشل أخرى. "في بعض الأماكن، كما هو الحال في معظم أنحاء إفريقيا، كان هدف المستعمرين الأوروبيين هو استغلال السكان الأصليين واستخراج الموارد لصالح المستعمرين". فشلت التنمية الاقتصادية في مثل هذه البلدان في نهاية المطاف. علي النقيض من ذلك، في الدول الاستعمارية الإستيطانية حيث أستوطن الأوروبيون بأعداد كبيرة، مثل الولايات المتحدة، وكندا، أستراليا، أنشأت "مؤسسات شاملة" لتعزيز التنمية الاقتصادية. وبالطبع، لم يُذكر في نقاش المؤسسات الشاملة،

الترامبية كإفراز للأزمة العامة الراهنة للرأسمالية العالمية

منذ الحملة الانتخابية الرئاسية الأولى لدونالد ترامب سرت بين أوساط مؤيديه أحاديث عن تنبؤات أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين، ذكر فيها متنبؤون ما يشير إلى شخص بمواصفات ترامب، أو حتى ذكره بالإسم، على أنه أقوى وآخر رئيس للولايات المتحدة. ربما ترامب نفسه آمن بذلك بقوة. فأتناء حملته للانتخابات الرئاسية الأخيرة قال أمام جماعة من المتقاعدين وقدامى المحاربين: «انتخبوني هذه المرة، ولن تُضطروا إلى انتخاب أحد بعد ذلك». كما أنه وبعض أنصاره، تحدثوا عن إمكانية ولاية ثالثة لترامب (سنعود إلى هذا في ختام المقال).

وبعد الانتخابات قال ترامب أن «هذا التفويض لم يأت من الشعب الأمريكي فحسب»... «لقد أخبرني كثيرون أن الله أنقذ حياتي لسبب ما، وهو إنقاذ بلادنا».

طبيب، ماذا يعني أن يكون ترامب آخر رئيس لأميركا؟ لعل أحد التفسيرات هو فكرة دخول الولايات المتحدة المرحلة النهائية من تاريخها، وهو ما تردد كثيرا في روسيا منذ عام 2020.

ومن أبرز من تحدث عن ذلك نيكولاي باتروشييف، المدير السابق لجهاز الأمن الفيدرالي، والقريب من الرئيس بوتين. أوضح باتروشييف أن الولايات المتحدة ستقسم إلى شمال وجنوب، مع تحرك الجنوب «نحو المكسيك، التي استولى الأمريكيون على أراضيها عام 1848». وفي مقابلة صحفية عام 2023 رأى أن مثل هذا الصراع ستشعله الحرب الثقافية: «إن مشاريع مثل حركة «حياة السود مهمة» والترويج الجامح لنظريات التحول الجنسي الهادفة إلى الإذلال الروحي لسكان يعيشون بالفعل في حالة من اللامبالاة ... والسلطات الأميركية، دون أن تفهم العواقب، تُدمر نفسها خطوة بخطوة».

من وجهة نظرنا، أن رؤية باتروشييف، وإن كانت محقة، إلا أنها تشير إلى مظاهر الأزمة، وليس الأزمة نفسها، وتقدم أحد النتائج على أنه السبب.

والآن إلى الجد. كل ما سبق ذكره بعيد تماما عن ما يسميه الماركسيون التحليل المادي التاريخي، حيث يتوجب البحث عن الأنماط التاريخية وتتبع تطورها ومآلاتها. الحقيقة، أن ما نشهده هو نهاية العولمة (عندما يجري الحديث عن النظام الدولي الحالي يدرج في التداول، خصوصا لدى اليسار، وصفان له: سياسة تسمى «الليبرالية الجديدة» وعملية تسمى «العولمة». وكلما ازداد استخدام المصطلحين، كلما إزدادا غموضا وتشابه علينا البقر).

مرّ تاريخ الرأسمالية العالمية بعمليتين للعولمة. في أواخر القرن 19 أطلق على عملية توسع الأسواق والتجارة العالمية ما عُرف بالعولمة الأولى (1870 - 1914)، ومن ثم، العولمة الثانية التي نعيشها منذ ثمانينات القرن الماضي.

يُبدى برانكو ميلانوفيتش، الخبير البارز في مجال التفاوت الاقتصادي المقارن، ملاحظة مهمة بشأن عدم التكافؤ بين العولمتين الأولى والثانية. فبينما تتشابهان في جوانب عديدة، إلا أنهما تختلفان في جانب واحد مهم وذو دلالة: فبينما أفادت العولمة الأولى القوى العظمى على حساب العالم المستعمر،



عبد الحليم النعيمي

الإكراه الاقتصادي، بما في ذلك حظر الاستيراد والعقوبات والغرامات المالية؛ وقيودا صارمة على الهجرة؛ وأخيرا، سياسات صناعية تتضمن دعم المنتجين المحليين.

ذلك بالطبع يتوافق وميول ترامب المعتز بالماذهب التجاري، والمستعد لتوظيف السياسة الخارجية لانتزاع التنازلات من جميع دول العالم، صديقة وغير صديقة، وتدفعها ثمن "استمرار" الريادة الأميركية للعالم. أي أنه يجب فهم نهج ترامب، بما في ذلك الرسوم الجمركية، على أنه تفسير، وليس سببا للأزمة ولإعادة هيكلة النظام الاقتصادي العالمي.

يدّعي ترامب أن الرسوم الجمركية هي أدواته الرئيسية لإعادة التصنيع ونشغل عمال بلاده. وسنرى أن هذا ليس الطريق الصحيح. لم تكن الرسوم الجمركية حلا للطبقة العاملة وسائر الكادحين في بلدان العالم، ولا حتى لقسم كبير من الرأسمالية، لأنها وصفت للركود التضخمي والفوضى. كما لم تكن التجارة الحرة والعولمة حلا. وحسب الفترة وأزمة الرأسمالية، تُعد التجارة الحرة أو الحمائية التجارية مجرد أدوات للطبقة الرأسمالية لتحقيق أقصى قدر من الأرباح.

كان ماركس وإنجلز واضحين تماما بشأن هذا الأمر منذ عام 1845. ففي «رسالة إلى الناشر» وضح إنجلز موقفه وماركس: «لا ننوي الدفاع عن التعريفات الجمركية الحمائية أكثر من التجارة الحرة، بل ننوي انتقاد كلا النظامين من وجهة نظرنا ...».

ومع ذلك أحدثت سياسات ترامب تشوشا لدى بعض اليسار والحركة العمالية العالمية. تم تبني الرسوم الجمركية التي فرضها ترامب علنا من قبل شون فين وشون أوبراين، رئيسي اتحاد عمال السيارات الدولي والأخوة الدولية لسائقي الشاحنات.

وبالمقابل يُعارض فرانسوا لابورت، رئيس نقابة سائقي الشاحنات في كندا ونائب رئيس رابطة سائقي الشاحنات الدولية رسوم ترامب الجمركية، نظرا لتأثيرها السلبي على الطبقة العاملة الكندية. لكنه يُعرّف «قوة التضامن» بأنها اتحاد النقابات والشركات بهدف «حماية» الاقتصاد الكندي والدفاع عن عمالنا وهويتنا كأمة، دون أدنى إشارة إلى أممية الطبقة العاملة.

مشكلة كلا الاتجاهين هي الاعتقاد بوجود الحل في السياسات

استفاد عمال المستعمرات السابقة من العولمة الثانية. غير أن الاستفادة كانت بيئة في ظروف انخراط البلدان المستعمرة في التصنيع وليس الاستخراج. ومع ذلك، كانت مقرونة أيضا بمستويات عالية من الاستغلال وتعظيم الأرباح.

النيوليبرالية مبادرة سياسية اكتسبت زخما من إخفاقات سياسة الصفقة الجديدة الكينزية، وانتشرت في جميع أنحاء العالم كعقيدة منذ ثمانينات القرن الماضي؛ أما العولمة فهي عملية توسعية تسارعت مع التقنيات الجديدة وهجرة رأس المال إلى أسواق عمل جديدة ومتوسعة. ورغم تداخلهما في جوانب عديدة، إلا أنهما ظاهرتان مختلفتان.

يرى بيرى أندرسون أن الليبرالية الجديدة لا تزال صامدة وعالقة في صراع سياسي مع الشعبوية - «المأزق السياسي بين الاثنين لم ينته بعد: ولا أحد يعلم إلى متى سيستمر». بينما يرى ميلانوفيتش بوضوح زوال العولمة الثانية وانتهاء حقبة التجارة الحرة لصالح الحمائية التجارية مجددا.

وحتى وإن جاء ترامب شاهرا سيف الحروب التجارية، إلا أنه منذ أكثر من عقدين من الزمان شهدنا زيادة في الممارسات الأميركية والأوروبية للرسوم الجمركية وتشكيل كتلات تجارية؛ وقيود صارمة على نقل التكنولوجيا إلى الصين وروسيا وإيران ودول أخرى "غير صديقة"؛ واستخدام

المنظمة الدولية: الذكاء الاصطناعي يهدد 75 مليون وظيفة

تعريضهم للأذى، ومع ذلك نبه التقرير إلى الآثار الجانبية المحتملة، مثل الإجهاد البصري و"دوار الواقع الافتراضي". وأشار التقرير إلى أن الإدارة الخوارزمية - التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي في توزيع المهام ومراقبة الأداء - قد تعزز الكفاءة، لكنها في المقابل قد تقلص من استقلالية العاملين وتزيد من الضغوط النفسية الناتجة عن المراقبة المستمرة. واستعرض التقرير إحصاءات عالمية لافتة، حيث أظهرت التقديرات أن نحو 75 مليون وظيفة معرضة للاستبدال الجزئي بفعل الأتمتة، مقابل إمكانية تطوير 427 مليون وظيفة باستخدام الذكاء الاصطناعي، كما أوضح أن النساء وكبار السن هم الفئات الأكثر عرضة للتأثير السلبي بهذه التحولات، مشيراً إلى أن احتمالية تعرض النساء للأتمتة تفوق مثيلتهن لدى الرجال بأكثر من الضعف، خاصة في القطاعات الحيوية بالدول النامية.

أصدرت منظمة العمل الدولية تقريراً جديداً بعنوان: «ثورة في الصحة والسلامة المهنية: دور الذكاء الاصطناعي والرقمنة في العمل»، وذلك بمناسبة اليوم العالمي للصحة المهنية، تناولت فيه التأثيرات المتسارعة للتكنولوجيا على بيئة العمل، وطرحت رؤية شاملة حول تسخير هذه الأدوات بشكل آمن وعادل، محذرة من مخاطر رقمية متنامية تهدد السلامة النفسية والجسدية للعمال. وأكد التقرير أن الرقمنة أصبحت عاملاً محورياً في إعادة تشكيل مواقع العمل، بدءاً من الأتمتة والروبوتات التي تقلل من تعرض العمال للمخاطر المباشرة، مروراً بالأجهزة الذكية القابلة للارتداء، مثل الخوذ المزودة بمستشعرات والقفازات التي تتابع المؤشرات الحيوية، وصولاً إلى استخدام تقنيات الواقع الافتراضي لتدريب العاملين على سيناريوهات خطيرة دون

الأميركية حول العالم. لكن اقتصاد الوهم هذا أصبح الآن، بعد عقود طويلة من الرفاهية التي وفرتها للغرب الرأسمالي، يندّر بخطر انهيار الهرم المالي الأمريكي، وبالتالي العالمي. يريد ترامب إنقاذ الاقتصاد الأمريكي من وهمه وإعادته إلى الاقتصاد الحقيقي، القائم على الإنتاج المادي. وهذا طموح مشروع في حد ذاته. لكن لا الاتجاه الذي يمثله ترامب، ولا أي قوة من النخب الرأسمالية تستطيع فعل ذلك. والأسباب جوهرية. أهمها، أنها ستحاول فعل ذلك بمقاربة طبقية بالمعنى المزدوج: 1- لصالح مزيد من إثراء الأغنياء على حساب مزيد من إفقار الفقراء، وبذلك تضع نفسها في مواجهة المجتمع ككل. 2- لصالح تمكين رأس المال الاحتكاري، التكنولوجي خصوصاً، على حساب انحسار نفوذ النخب الرأسمالية الأخرى، وبذلك تُفاقم من تعمق التناقضات بين الفئات الرأسمالية. مرة أخرى. ترامب لم ينه العولمة. الأزمة العقارية في 2003، الأزمة المالية العالمية التي ارتقت إلى اقتصادية فسياسية فأخلاقية في 2007 - 2009 وتوالي ضربات موجاتها، ثم آثار أزمة كوفيد-19 الكارثية، وما تبع كل ذلك من سياسات تجارية إنعزالية. هذا ما شكّل بداية نهاية العولمة الثانية. والظاهرة الترامبية ليست سوى الوجه الآخر للأزمة المستفحلة. نعود إلى ما جئنا عليه في البدء: هل جاء ترامب ليبقى؟ نلاحظ الآن تراجع ترامب نفسه، وكذلك أنصاره، عن ترديد رغبته في الولاية الثالثة. طيب، نعيد صياغة السؤال، هل جاءت الترامبية، كنهج، لتبقى؟ تشير التطورات إلى أنه إن لم ترسل انتخابات التجديد النصفى 2026 القادمة أولى إشارات الإجابة بالنفي، كما يأمل الديمقراطيون، فهناك احتمال كبير أن تفعل ذلك التناقضات الآخذة في الاشتداد بين شخوص طاقم الترامبية الفاعلين: بيسنت - ماسك (في الاقتصاد)، وفانس - روبيو (فيما يتعلق بالعلاقات بالدولة العميقة داخليا وطريقة حل الأزمة في أوكرانيا وأوروبا وفي غزة شرق أوسطيا، وطبيعة العلاقات الدولية عالميا). ويبدو أن العنوان الأساسي لهذه التناقضات سيكون الصراع حول خلافة ترامب، إن بقي للترامبية حظ البقاء. وسيكون هذا الصراع وجوديا حتى لو بقيت الترامبية مع فوز اتجاه وزير الخارجية الحالي ماركو روبيو، الأكثر ميلاً للتفاهم مع الدولة العميقة. عندئذ سيكون انتقام الدولة العميقة بلا رحمة ضد نفوذ فانس في الداخل والخارج. بكل ما لذلك من انعكاسات على الأوضاع الأميركية والعالمية. وسيكون ذلك، من جديد، تعبيراً عن استمرار تفاقم أزمة الرأسمالية العالمية وأثرها على عالمنا.

القومية وظهور الرأسمالية القومية، وليس المقاومة النضالية والتضامن العمالي الدولي. لا وجود لمثل هذا الحل المختصر. هذه النقابية التجارية دفعت زعماء النقابات مثل فين وأوبراين إلى التنقل ذهاباً وإياباً بين وول ستريت والإدارة الحالية في البيت الأبيض. بينما يُخفّض ترامب الضرائب على الأغنياء والشركات، يأمل في تعويض الإيرادات المفقودة بفرض رسوم على الواردات. سيُلحق هذا ضرراً غير متناسب بغالبية السكان، بينما سيستفيد منه حفنة صغيرة من النخب الثرية. عدا أن هذه الفكرة جاهلة رياضياً، لأن التعريفات الجمركية لا تستطيع توليد ما يكفي من الإيرادات لتعويض انخفاض ضرائب الدخل - لكن هذا لم يوقف ترامب منذ رئاسته الأولى. ما قتل الصناعة في الأصل هو الخوف من صعود الطبقة العاملة. لنعد إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، التي نحتفل هذه الأيام بالذكرى 80 لانتهائها ودحر الفاشية البغضة وقيام المنظومة الاشتراكية العالمية. إن تحقيق مكاسب كبرى للطبقة العاملة في هذه البلدان ألهم الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية لتصعيد نضالاتها وتحقيق مكاسب كبيرة في تحسين الأجور وظروف العمل والحقوق السياسية والاجتماعية الأخرى. وخوفاً من تنامي حركة الطبقة العاملة إلى فعل سياسي تغيير في الأنظمة الرأسمالية لجأت هذه الدول، وفي مقدمتها الولايات المتحدة إلى تصدير صناعاتها إلى البلدان الأطراف، حيث ضعف الحركات النقابية ورخص العمالة والأراضي وتوفر أو قرب مصادر الخامات والوقود. في مقابل تقهقر قطاعات الصناعة والإنتاج عموماً، اتجهت رؤوس الأموال الكبيرة من الاستثمارات المباشرة إلى الاستثمارات غير المباشرة (قطاع المال ومشتقاته الأسرع دورة والأكثر ربحية من الإنتاج المادي). وشكّل ثالث الريحانية والتأشيرية والكولية (نسبة إلى هلموت كول في ألمانيا الغربية) مستنداً إلى نظريات ميلتون فريدمان داعماً لتغول قطاع المال. وأصبح هذا القطاع يُولد قرابة 85% من مجمل الأرباح العالمية. وعن طريق طباعة الدولار غير المغطى بأصول مادية وبيع سندات الخزنة الأميركية (شراء الدين العام الأمريكي) وإحداث عجوزات مستمرة في ميزانها التجاري وميزان المدفوعات غطت الولايات المتحدة استهلاكها لما تستورده من بقية العالم، ممتصة فائض القيمة العالمية. وبهذا أيضاً تسيّد الدولار على قمة الهرم المالي العالمي وأصبح الوحدة الأساسية للحسابات والتداول والإدخار.. لا يدعمه في الحقيقة سوى انتشار 800 قاعدة عسكرية وحاملات الطائرات





حميد الملا

حكاية البريد في البحرين من خلال سيرة علي إبراهيم مطر

للبريد في البحرين سيرة وثقها كتاب صدر تحت عنوان (سيرة البريد في البحرين) صدر في العام ٢٠٢١ عن دار "فراديس للنشر والتوزيع" في حوالي ١٤٩ صفحة، مع مجموعة كبيرة من الصور بينت علاقة صاحب السيرة المرحوم الأستاذ علي إبراهيم مطر بالبريد في البحرين وخارجها من خلال المؤتمرات والندوات والنشاطات والزيارات التي قام بها، عندما كان مديراً لهذه الإدارة منذ العام ١٩٧٤ وحتى عام ١٩٩٨.

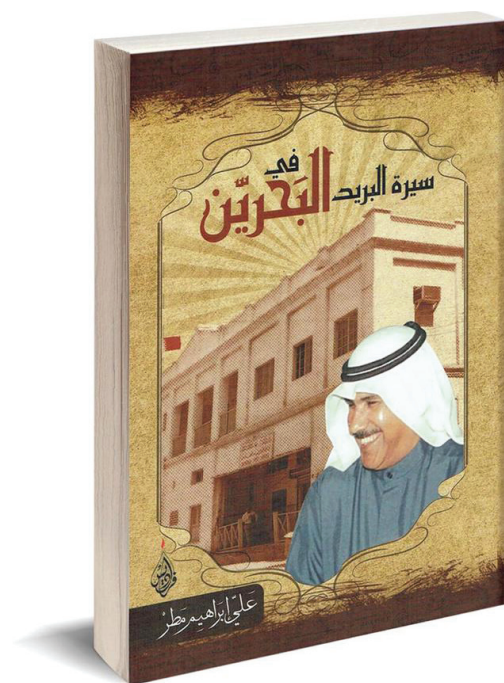
إذن كان للمرحوم علي مطر دور ريادي بارز في مجالات تطويرية عدة ابتداءً من العنصر البشري إلى الإداري، وأصبح البريد في حالة تطور دائم ومستمر، وأخذ بيد العديد من البحرينيين في تطوير مهاراتهم البريدية من خلال التدريب المستمر ليصبح البريد في عهده متقدماً أسوة بالدول التي سبقتنا في هذا المجال.

من خلال قراءتي لهذا الكتاب القيم وجدت فيه معلومات مفيدة للقارئ "عن كل ما يتعلق بالعمل البريدي من طوابع ودورها لتكون أداة ووسيلة ثقافية ومعلوماتية وادخارية تحمل صوراً من تاريخ وتراث وبيئة الدولة التي تصدرها"، هذا إلى جانب الجداول المرفقة بالكتاب عن شركات البحرين في الاجتماعات العربية والدولية، وأسماء من مثلوا البحرين في هذه المؤتمرات، وأوائل من عملوا في نظارة البريد من هنود وبريطانيين وبحرينيين، كما يحتوي الكتاب على تاريخ إنشاء مكاتب البريد في المنامة والمحرق وعوالي والمنطقة الدبلوماسية ومدينة عيسى، إضافة إلى كيفية إصدار الطوابع وتواريخ إصدارها والغاية والهدف والمناسبة من الإصدار، ونوعية الإصدار إن كان تذكاري أم خاصاً، كما تطرق الكاتب إلى الأشخاص الذين قاموا بتصميم الطوابع مثل الفنان عبدالله المحرق والشيخ راشد آل خليفة وعباس الموسوي ومناحي مرزوق وعلي الشيخ بشير وأنس الشيخ ومحمود غريب وليوس مورلاند ودانيان مينولت.

من خلال صاحب السيرة غطى الكتاب جميع المواضيع المتعلقة بالبريد، ورسم لنا لوحة جميلة وبشكل منظم عن البريد والقائمين عليه ومدى التطور الذي شهده، ووزع الفصول بشكل احترافي لإعطاء القارئ دفقاً من المعلومات يستطيع من خلالها تكوين صورة متكاملة عن وضع البريد قبل وبعد الاستقلال، كما أن الكتاب تضمن صوراً نادرة لرسائل قديمة، وصوراً لطوابع ووثائق إدارية تعود لمنتصف القرن العشرين.

هذا العمل التوثيقي المهم يستحق الثناء، كونه حصيلة عمل وتجربة مؤلف الكتاب التي امتدت لأكثر من أربعة عقود في هذا المجال المهم، ومرجعاً قيماً للباحثين والمهتمين بتاريخ الخدمات البريدية في البحرين والخليج العربي.

الرحمة لصاحب السيرة المرحوم علي إبراهيم مطر والشكر للأخ مهدي مطر على جهده في إصدار هذا الكتاب الذي وثق جانباً مهماً من ذاكرة البحرين.



كل التحديات بدون استثناء.

هذه التحديات التي واجهها علي مطر في أوظيفي وثباته هناك رغم تلك الظروف الصعبة أعطته تجربة ومراساً وثقة، مما ساعده في تحمل مسؤولية إدارة البريد في البحرين بعد أن صارت الإدارة تقدر مساهماته وإنجازاته ومثابرته مما أوصله إلى أعلى مرتبة وهو منصب مدير إدارة البريد، حيث بُعث في دورة تدريبية في بريطانيا في العام 1972 استمرت خمسة شهور من فبراير وحتى يونيو، وعلى الرغم من تلك المسؤوليات الجسام كان علي مطر مثابراً على القراءة، إذ يقول: "القراءة كانت في مقدمة اهتماماتي بعد إنجاز عملي اليومي الذي كرسحت حتى جزءاً من أوقاتي الخاصة للاهتمام به، ولأثبت أنني جدير بأن أتحمل المسؤولية كاملة غير منقوصة".

كان لاقتراح علي مطر إدخال العنصر النسائي في تقديم الخدمات البريدية أثر إيجابي في إشراك المرأة في هذا العمل، حيث صار للمرأة وظيفة أخرى كما في البنوك والشركات والوظائف الحكومية الأخرى، وبذلك عُينت أول امرأتين في شبك بريد المنامة، الأولى السيدة شمس محمد صالح والثانية السيدة أمينة غانم سعيد.

عكف الراحل علي مطر رحمه الله على تدوين هذا الكتاب بغلافه بالموضوعات الواردة فيه منذ العام 1953 وحتى عام وفاته (1998)، وبلمسة وفاء وعرفان لأخيه قام الأستاذ مهدي مطر بإصداره بعد إطلاعه على مادة الكتاب، وخيراً فعل، فالكتاب يؤرخ لتاريخ خدمات البريد ليس فقط في البحرين وإنما في الخليج العربي، حيث كان علي إبراهيم مطر موفداً لإمارة أبو ظبي لأكثر من مرة منذ العام 1963 لتنظيم وتطوير الخدمات البريدية هناك.

يحتوي الكتاب على تسعة فصول وخاتمة وملحق صور، توطئة كتبها صاحب المبادرة مهدي مطر، لخص فيها موضوع الكتاب والهدف من إصداره بعد هذه المدة الطويلة التي ناهزت اثنين وعشرين عاماً من رحيل مؤلفه، ويصح القول إن الكتاب يعد مرجعاً للمهتمين والدارسين لتاريخ الخدمات التي قدمها البريد منذ تأسيسه وعلى مدار تلك الفترة، أي قبل الطفرة التكنولوجية وعالم الاتصالات الرقمية، ومن هنا تكمن أهميته للبناء على ما سبق هذا التطور الحالي منذ أن كان البريد تحت الإدارة البريطانية قبل الاستقلال.

بدأ المرحوم علي مطر العمل بالبريد في العام 1953، واستمر في هذا العمل حتى وفاته، ومن أجل تطوير مهاراته التحق بمعهد البريد العربي بالقاهرة ونال شهادة الدبلوم العالي في الدراسات البريدية، كما درس اللغة الفرنسية لأهميتها آنذاك في الاتفاقيات الدولية.

يقول علي مطر "صار لي الشرف بأن أكون أول بحريني يتحمل مسؤولية خدمات الاتصال البريدية كاملة في دولة البحرين وذلك اعتباراً من 12- 12 - 1974 بعد أن كانت تدار من قبل كوادر أجنبية لمدة استمرت تسعين عاماً متواصلة (1884 - 1973)، ومن المعروف عن علي مطر أنه كان حريصاً على توظيف البحرينيين وصقل مواهبهم في هذا المجال، من خلال تدريبهم وابتعاثهم في دورات تدريبية، فازداد عدد العاملين في البريد من 78 موظفاً، إلى 246 وكل ذلك خلال عشرين عاماً من تسلمه إدارة البريد، هذا إلى جانب ما قام به في إنشاء المكاتب والمنشآت البريدية المنتشرة في المدن والقرى.

وعن تسلمه مهام عمله في أوظيفي في العام 1963 يقول علي مطر: "لم تكن مهمتي سهلة، ظروف معيشية صعبة، عمل غير منظم، أعمل بمفردي، لا أعرف أحد في الإمارة... إلخ ولكنني والحمد لله والشكر له وحده، تمكنت من مواجهة



حين يُطفأ اللحن في القلب موسيقي في زمن المادة



سوسن حسن

إلى مساحة ليُزهر.

يقول بيتهوفن: «الموسيقي وحيّ يدخل القلب فيجعله ينسى العالم»، لكن ماذا يفعل من يعيش في عالم لا ينساه؟ من يُطارده الواقع من كل جهة، ويطلب منه أن يكون «واقعيًا» ويكفّ عن ملاحقة الأوتار؟ كأن الحلم صار تهمة، والمثالية سذاجة.

هذا الرجل لا يحتاج شفقة، بل احتواء. لا يريد تصنيفًا مؤقتًا في أمسية، بل بيئة تحضنه ليبقى صوته مستمرًا. فالفن، والموسيقي خصوصًا، ليست ترفًا كما يُروّج لها، بل هي لغة الروح، بلسم القلوب، وجسر التفاهم بين البشر. حين تُطفأ الموسيقى، يعلو الضجيج، لا الصوت. كم من موسيقي في هذا العالم تخطى عن الآلة الموسيقية ليحمل دفتر الحسابات؟ كم من عازف بيانو استبدل مفاتيح النغم بأزرار الحاسوب؟ كم من ملحن صار موظفًا بلا لحن؟ ليس لأنهم أرادوا، بل لأنهم أُجبروا. لأن مجتمعاتهم لم تؤمن بأن الفنان هو نبض حضارتها، وأن الأغنية أحيانًا تُصلح ما أفسدته الخطب، وأن اللحن قد يُداوي ما عجزت عنه السياسة.

يقول ألدوس هكسلي: «بعد الصمت، ما يقترب من التعبير عن غير القابل للتعبير هو الموسيقى»، فما الذي نخسره حين نصمت أصوات الموسيقيين؟ نخسر جزءًا من إنسانيتنا، من هويتنا، من الجمال الذي يُضفي على الحياة معناها.

ربما آن الأوان أن نعيد التفكير في علاقتنا بالموسيقي وأصحابها. أن نخلق لهم مساحات آمنة، فرصًا حقيقية، احترامًا فعليًا. لا نُصفق فقط عندما يصعدون منصات عالمية، بل نمُنحهم الدعم في المراحل الأولى، حيث اليأس أقرب، والطريق مجهول.

الموسيقي لا يحتاج جمهورًا فحسب، بل من يحتضن حلمه وهو لا يزال في مراحله الأولى. ومن دون هذا الاحتضان، سنفقد الكثير من الأصوات الجميلة، لا لأنهم لم يكونوا جيدين، بل لأنهم لم يجدوا من يُنصت لهم.

في زاوية غرفة صغيرة، تستند آلة البيانو على الحائط بصمت، كأنها تتألم بصمت صاحبها. رجل في العشرينات من عمره، كان ذات يوم يُحيي الليالي بصوته ونغماته، يُشعل الأرواح بحضوره، ويبعث الدفء في قلوب المستمعين عبر وتر واحد. اليوم و بعد بلوغه سن الثلاثين، بالكاد يلمس تلك الأوتار، لا لأنه نسي اللحن، بل لأن الحياة أرغمته على كتفه.

هذا الرجل الموسيقي، الحالم، الرقيق، وجد نفسه مضطّرًا لأن يُخفي شغفه في أدراج الروح. لقد غلبته متطلبات الحياة اليومية: فواتير، إيجارات، التزامات، ضغوط لا تنتهي. يلوم أحيانًا أفراد أسرته على الضغوط التي يعيشها والتي بسببهم لم يعد يمارس شغفه. يندم ويرجع يعتذر على واقع ليس هم السبب فيه وإنما الظروف، أوضاع البلد، الاقتصاد العالمي.

لم يكن له ترف التفرغ للفن، أو انتظار فرصة قد لا تأتي. فالموسيقي في هذا الزمن، وفي مجتمعات كثيرة، لم تعد تُطعم خبزًا. تُحب كفكرة، تُشارك على وسائل التواصل، يُصَفّق لها، لكن نادرًا ما يُقدّر أصحابها فعليًا. وكأن الموهبة صارت عبئًا إن لم تكن مربحة، والموسيقي مجرد هاو إن لم يتحول إلى منتج تجاري.

يقول نيتشه: «بدون الموسيقى، تكون الحياة خطأ، لكن هذا الخطأ يتكرر يوميًا في حياة كثيرين، حين يضطر الإنسان إلى قتل صوته الداخلي ليعيش خارجيًا. هذا الموسيقي لم يتخل عن حلمه لأنه فشل، بل لأن المجتمع لم يفتح له نافذة. لا مؤسسات حاضنة، لا دعم مادي، لا اعتراف حقيقي بأن الفن ضرورة، لا ترف. وفي كل مرة سألتته الحياة: «ماذا تختار؟ الغداء أم الغناء؟» اضطر، مكرهاً، أن يختار الأول.

في زمن تُقاس فيه القيمة بالربح، والمكانة بالمردود، يصبح الفنان أشبه بغيره في وطنه. يُعاني في صمت، يُجاهد كي لا ينطفئ، يُقنع نفسه أن الموسيقي ستبقى بداخله، حتى إن لم يمارسها. لكن الحقيقة أن الإبداع مثل النبتة، إن لم تُسق، تموت. وإن عاش في القلب، يحتاج

على عتبات الموت



علي الحداد

عشقت الحياة، و أحسست بطعم الحرية، مددت يدي إلى السماء، غزلت القمصان للربيع، شاء القدر لمن لا يستحق أن يعبت بحريتي، والدتي وأختي الصغيرة دفعتا ضريبة الحسرة، والحرمان، والألم، وعانيت من سفك دمائي، ومرارة سجنني . سمعت قرعاً شديداً وكان زلزالاً حلّ بالمنزل. استيقظت فرعاً وهرعت لأعرف من الطارق.

– من؟

– رجال الأمن.

فتحت الباب وأنا أرتجف من القلق. كانوا ثلاثة رجال بلباس أمني أسود. وجوههم مغطاة بشكل كامل ماعدا فتحة صغيرة للعينين، ارتعبت من ضخامتهم وأشكالهم. سأل أحد الرجال الملتزمين بنبرة عالية كزئير الأسد:

– هل أنت فؤاد عطية؟

– نعم.

كنت في حالة روع شديد. دفعوني بقوة وهم يلجون عبر الباب، فارتطم رأسي بالجدار، وظلوا يتنقلون من غرفة إلى أخرى كالثيران الهائجة. شعرت بخليط من مشاعر القلق والرعب والخوف، ولكن عندما رأيت وجه أمي الشاحب وهي تصرخ دون صوت –وفي حضنها أختي سارة ذات السنة أعوام– ازداد ألمي وأساى. أسمع التدمير الذي يقومون به من تكسير لكل ما يقع في أيديهم من أوان فخارية وكراس وقطع أثريّة ثمينة، ممّا حول المنزل في ثوان إلى حالة من فوضى لا تطاق.

مرّت دقائق التفتيش المرعبة كأنها دهر، ثم اقتادوني معهم، جرّوني ووضعوني في المقعد الخلفي للسيارة الجيب ذات اللون الأسود كسواد الأيام القادمة كما يبدو. أجلسوني بقرب جثتين محفوظتين بداخل أكياس سميكة. كانت الروائح النتنة تفوح في أرجاء السيارة. هلعت وكنت أتحاشى نظراتهم التي تفيض بالغضب وكأنهم يتوعدوني بوجبة دسمة من الضرب المبرح.

بينما كانت السيارة في طريقها إلى جهة غير معلومة، سرحت بأفكاري لأمي المسكينة بعد غيابي وهي في سن الخمسين وضعيفة البنية ونحيفة الجسد وعنيدة في قراراتها، توقفت عن الأكل والشرب عندما مرضت أختي الصغيرة سارة، فما بالك وغياب ابنها البكر، أنا خائف عليها ...

بعد أن وصلنا إلى مبنى قديم، عصّبوا عينيّ بقطعة قماش ووضعوا القيد في يدي من الخلف، ثم ألصقوا وجهي في الحائط البارد. لا أعرف كم ساعة بقيت على هذا الوضع، فقد توقّف الزّمن عندي ولم أستطع أن أُميّز إن كنا ليلاً أم نهاراً.

كان يتناهى إلى سمعي أصوات المعتقلين الخاضعين لعملية التعذيب الوحشي، وكنت أغرق في الرعب والهلع. فقلت في نفسي مخاطباً ربي:

أخلقتنا يا رب لأجل أن نتعذب؟! ولماذا التفرقة بين عبيدك؟! ألم تقل بأننا سواء عندك؟! فلماذا التمييز؟! ألم تقل في الكتاب بأنك عادل؟! فأين العدالة ونحن نتعرّض لهذا العذاب الدنيوي؟!

في تلك اللحظة فتّح الباب بقوة، وأزالوا قطعة القماش من على عيني. تمعّنت في وجهه، كان يبدو لي بأنه هو المسؤول عن فرقة التعذيب من طريقة لباسه وضخامة جسمه. سألت نفسي: أين رأيت هذا الوجه من قبل؟! لا أعلم. قال لي بدون مُقدّمات: اعترف وسنعفي عنك.

لا أعرف ماذا تقصد.

لن يجديك الكتمان. أنت متورّط في قضية سياسية أهون أحكامها السجن المؤبد أو الإعدام. ليس لي علاقة بما تقولونه، فأنا شابٌ مُسلم ولا شأن لي بالسياسة.

نملك معلومات تظهر مشاركتك المستمرة في الأنشطة الثقافية، وقرأتك للكتب الوجودية الفلسفية، ولدينا عيّنة من هذه الكتب الماركسية التي وجدناها في منزلك.

–أنت أمامك خيارانإمّا أحطّم هذا الهيكل الضعيف وأمرّقه قطعة قطعة بقدر تحطيم مستقبلك.

وإمّا أن

رفضت كلّ الاتّهامات، وظلّ الصّمت هو سيّد الموقف، لكنّ المحقّق لم يُعجبه ذلك، فصرخ بأعلى صوته: اضربوه حتّى يعترف.

وانهالوا عليّ ضرباً وأنا أتقلّب أمامهم كنعجة تُذبح على المقصلة. كانت العصي تحفر ظهري وتوثق إساءتهم. كان صراخي يعلو، ولكن صوت العصي أعلى من كلّ صوت.

قلت حينها في نفسي:

لو قطعتموني قطعة قطعة، ومزّقتموني إرباً إرباً ما نلت مني.

كنت أسمع تهكمهم وضحكاتهم وكأنهم قرأوا أفكاري. واستمرت الحفلة حتّى فقدت وعيي من شدة الإعياء والألم.

فتحت عينيّ المنتفختين على صوت أقدام رجال الأمن، فصرخت بهلع:

لا.. لا.. لا تضربوني، معتقداً بأن الجولة الثانية من التعذيب ستبدأ. ثم انتبهت إلى نقش صغير مكتوب على الجدار يقول: (أعطني حُرّيّتي)، فشعرت ببعض المواساة وحاولت النهوض للذهاب إلى الخلاء، ولكنني كنت عاجزاً عن الحركة، فطلبت المساعدة. كان أمراً مهيئاً وفي غاية الإذلال، لكنّ تلك العبارة المحفورة على الجدار حُفرت في عقلي ووجداني، فنهضت بالتدريج.

أثناء ذهابي إلى الخلاء، دار بيني وبين الشرطيّ مجيد حوار بسيط قطعنا به المسافة. مجيد شرطيّ خلوق ومرح. سألته:

–هل سأمكت هنا طويلاً؟

– بلغة منكسرة أجابني: في نفر سجن عشر سنوات، و في نفر سجن مؤبد، انت إن شاء الله عقوبة خفيفة.

فشكرته بالرغم من أنّ جوابه هذا شدّ روّعي وزاد من قلقي

وعندما رجعت قدّموا لي وسادة و بطانية لأفترشها على أرض الزنزانة الباردة .

كان النّهار طويلاً جداً والزّمن أكثر بطئاً، كنت أسليّ نفسي بالأغاني العراقية القديمة التي عشقتها منذ طفولتي ..

عدوان عدو الشوك

باهر هموم

من عمري سبع سنين

وقليبي مهموم

وأحياناً أردد القصائد الشعريّة العراقيّة ...

سبحانك كل

إلا شياء رضىت

بها إلا الذل

وان يوضع قلبي في قفص في بيت السلطان وقنعت.....

وكنت أرفع صوتي عندما أغني أو أنشد الشعر لأسمع بها أذان المعتقلين في الزنازين البعيدة.

وفي المساء عندما تطفأ الأنوار، كنت أستلقي مُفترشاً البطانية، أتلوّ من فرط الألم والبرد، أصارع أفكاري. في تلك اللحظة، تذكرت أين التقيت بالمحقّق. قفز وجهه في ذاكرتي، كان



فاسم الحلال

التحرر من الدوائر الضيقة

من يسعى لفكر نيرٍ بقصد أن يؤسس بنية اجتماعية عليه أن يتجاوز الاكتفاء بالتحاور مع النخب، فمن الضروري أن يتحاور مع العامة لكي تكون بنيته الفكرية مبنية على أسس سليمة وقريبة من الجميع، ولكي يكون الفكر سليماً عليه الخروج من الدائرة الضيقة للأدلة لكي لا يكون ضمن قيود محصورة تفرض عليه بحكم ضيق أفقها وعدم سعة الطرح المستنير، حيث أنه يحمل رسالة العموم، كما تقع على عاتقه مهمة التزام نشر الوعي والمعرفة الحققة بناء على أسس رحيمة ركيزتها الأساسية الديمقراطية والسلام والعدالة الاجتماعية لكي لا يهضم حرية الكلمة والرأي النابعة من منارات جادة وصادقة من مناهج سامية لها جذورها التاريخي الراسخ في بواطن الثقافة الأممية التي تنشدها الحداثة والتقدم وتجسيد الانتماء لمبادئ تعالج واقعنا الراهن الذي يعاني القسوة والوجع.

تجسد الحقيقة العلمية والعملية الإنسانية الخالدة. نحن ننظر إلى أن سعادة الإنسان تكمن فيما يحققه من انجازات في الحياة وهذا مبدؤه، ليكون فاعلاً يدرك ويعي العالم من حوله مؤسساً ومغيراً في مجتمعه كما أنه يغير ذاته وطبيعته، فكلما توسع في مضمون الوعي، أدرك التناقضات التي تدور حوله وتعرف على مفاتيح خطى المسار الذي يرسم المنهج المستقبلي الواسع، أي الايمان بالقناعات التقدمية بعد الخروج من الدوائر المغلقة وبالطبع تصبح الرحابة بعد الخروج حتماً مؤدلة تحمل صفة الحداثة والتحضر في التحول التدريجي نحو المادية الديالكتيكية فهي النظرية التي تقود الإنسان نحو التطور الفهمي السلس لا بقفزات أو تخطي مراحل. أخيراً لابد لنا إلا أن نقول إن الوعي الذي اكتسبناه ليس عبثاً، بل جاء عبر صراع مع الذات، عبر انتصارنا وتغلبنا على المفاهيم البالية التي تمكنت في نفوسنا عبر ثقافة متخلفة فرضت علينا بقسوة ولم نتمكن من إلزائها إلا بنضالنا ضدها وبصمودنا، حين رأيناها غير مجدية لمجتمعنا.

لقد أهملنا كثيراً الجوانب السياسية التي لا تخدم ثقافة الإنسان المغلوب على أمره بغير قصد وابتعدنا كثيراً عن العقلانية والحقيقة والجرأة، لأننا صرنا نخاف، فصارت الظروف الراهنة تخذلنا من حين إلى حين، وبات الخروج من الدوائر الضيقة مهما كان توجهها عقائدياً أو قومياً ضرورياً وراهناً لأنه لا يخدم العموم أممياً.

من هنا علينا الخروج من الدوائر متجاوزين التوقع بداخلها متخذين المبادئ الأساسية السلسلة للانتقال إلى الدائرة الأكثر رحابة (الأممية)، بذلك نحطم المفهوم البالي، ونسير على طريق الحرية والانعتاق

من المفهوم الانعزالي الضحل، ونسير دوماً إلى الأمام نحو مجتمع عصري يقارع من يصرون

تثبيت نهج الرجعية، معززين بعملنا النضال

في سبيل الحرية والوطنية، وحتماً

فإن النصر حليفنا مهما طالت العثرات

المبيته، لأن الإنسان الواقعي الذي يدافع

عن كرامته وعزة وطنه ووجوده

الإنساني النابعة من مبادئه بالطبع يبتعد عن

الواقع الذي يفقدنا القوة المؤثرة التي تمتلكها مبادئنا التي



معي في الصف السادس الابتدائي. كان تلميذاً مُشاغباً، بليداً، يتميز بضخامته وعنفه. كان منبوذاً لسوء أخلاقه لدى الجميع ويصّر دائماً على افتعال المشاكل بين الطلبة.

كيف وصل هذا الغبي إلى هذا المنصب الحساس؟! كان هذا السؤال يضيح في رأسي.

في تلك الليلة لم أستطع النوم؛ بسبب هذه الحقيقة؛ وبسبب الروائح الكريهة وأصوات المعتقلين في غرف التعذيب.

في الليل يتحول المكان إلى غابة وحوش. أسمع أنينهم وكأنني أعيش اللحظة معهم.

هامت بي الذاكرة إلى طفولتي البريئة، عندما كنا نواجه أطفال الحي المجاور برمي الحجارة عليهم، وهم يفعلون المثل بمرح وشقاوة. في إحدى المرات رماني أحدهم بجحر فأصابني في جبهتي وكنت أنزف. بكيت من الألم وما إن وصلت المنزل حتى استقبلني أخي الأكبر بالضرب المبرح، ومنذ ذلك اليوم بقي هذا الألم عالِقاً في ذهني وقد أيقظته أنات المعتقلين.

بقيت في الزنزانة ثلاثة أسابيع وكأنها ثلاثة أعوام، اقتصرت علاقتي مع أفراد الشرطة الطيبين.

الوحدة في الزنزانة والاختلاء مع النفس علمتني كيف أواجه صراعي مع عقلي الباطني، الذي يخاطبني بالتخلي عن مبادئ، فأنا ضعيف البنية، لا أتحمّل تعذيبهم، والأفضل لي أن استمتع بعالم مملوء بالورود وسرعان ما أترجع عن ذلك وأقول: إذا لم أغزل النسيج، فمن سيخيط القمصان للربيع؟! كانت الليالي الأخيرة من المعتقل، مليئة بالأحلام المروعة. رأيت أمي تبكي تارة وتزغرد تارة أخرى، وفجأة ظهر ثلاثة مُلثمين، وضعوا حبل المشنقة حول رقبتني، ولكنها انقطعت واستطعت الهروب وظلوا يلاحقونني لليل مني وأنا أحاول أن أجري ولكن رجلي لا تسعفانني وكأنهما مُثبَّتتان بمسمار في الأرض وأنا أصرخ، أطلب من يساعدي، وفجأة تحول المُثبَّتون إلى أقزام.

فرزت من ذلك الحلم، وقلت في نفسي: لعل ذلك خير.

وفي منتصف النهار جاءني المُحقّق مُنادياً اسمي، فقلت في نفسي: استعد لل الجولة الثانية من التعذيب. لكنه صدمني بخبر الإفراج، لم أكن أتوقع ذلك فقلت له:

الوداع، وأتمنى ألا أراكم مرة أخرى.

أتعرف تهمتك؟

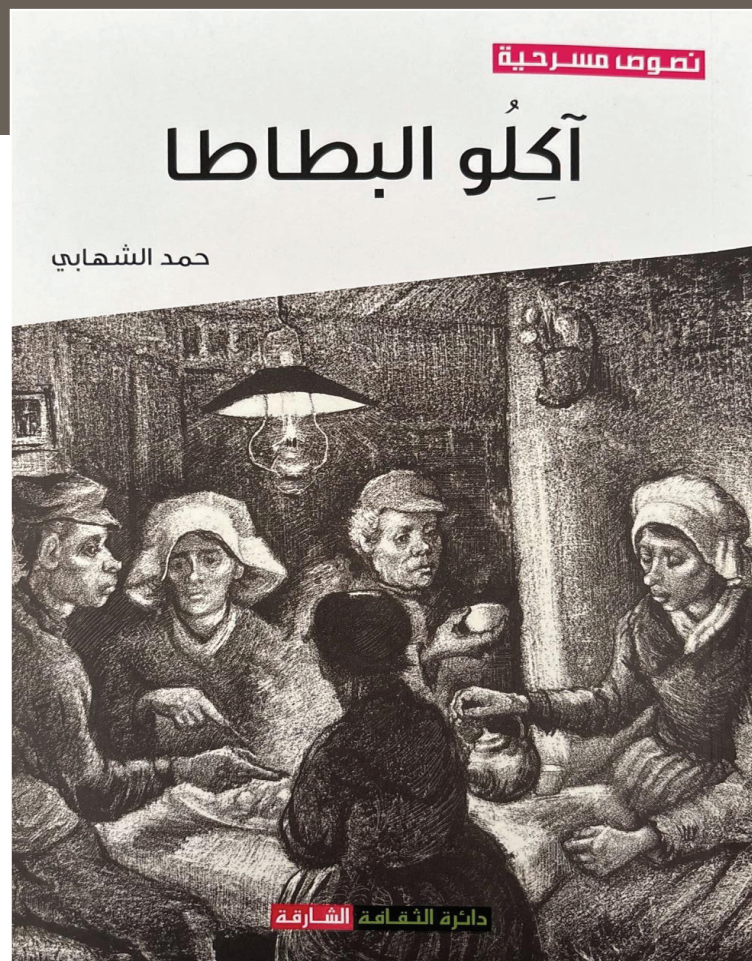
لم أعرفها بعد.

أرادوا توريطك في قضية سياسية، ثم قرروا بأنك لست الشخص المناسب.

المهم إني الآن حر طليق.

قلت في نفسي وأنا أخرج من باب المبنى: يا لسخريّة القدر، تعطى المناصب لمن لا يستحقها، حتى تقرر مصيرك.

أكلو البطاطا: الغواية في متاهة فان جوخ



د. زهراء المنصور

يجنح الكاتب والمخرج البحريني حمد الشهابي إلى الخيال في غالب أعماله المكتوبة والمرئية؛ هذا الخيال المكتوب يستثمر كما ينبغي لديه، وهو يدرك أين موقع الشرارة، ليحك حولها أحداثاً مناسبة لتصوغ عملاً فنياً يثير الجدل ويلفت الانتباه. وعلى الرغم من كونه يكتب قصصاً قصيرة وروايات، لكنه لا يتوانى عن شراء حقوق قصة ما أشعلت خياله، ويبدأ في الهدم وإعادة البناء، حتى تخرج بهيئة جديدة وجنس أدبي آخر، دون أن يعني هذا أنه مشروع مستعجل، بل قد يبقى في الأدراج لسنوات، كما حصل مع مسلسل التسعينات الشهير: حسن ونور السنا؛ حيث كُتب في الثمانينات، وظهر للنور بعدها بعشر سنوات وأكثر، والذي كان طرفة على مستوى القصة والتقنيات التي أبدعها المخرج بسام الذوايدي، وكيف أن الشهابي التقط فكرته من قصة قصيرة عن "حسن البصري" مجهولة المؤلف، والمنسوبة افتراضاً لقصص ألف ليلة وليلة. ويبدو أن التسعينات كانت الفترة الذهبية للشهابي، الذي خرج بأعمال غير المسلسل -الذي استقطب الصغار والكبار حينها- مثل السهرة التلفزيونية "عيون تحت الجمجمة"، وفيلم "بيت الجن"، ومسرحيتي "بيت خاص جداً" و"نجمة على الأرض"، وأعمال عديدة ومغايرة لما كان موجوداً وقتها في الساحة قبل طفرة الأفينيات وتبعاتها. والميزة التي تعلق موهبة الشهابي، هي قدرته على الخيال، وهو محرك الإبداع لأي كاتب وفنان، فكيف إن كان يجمع بينهما؟

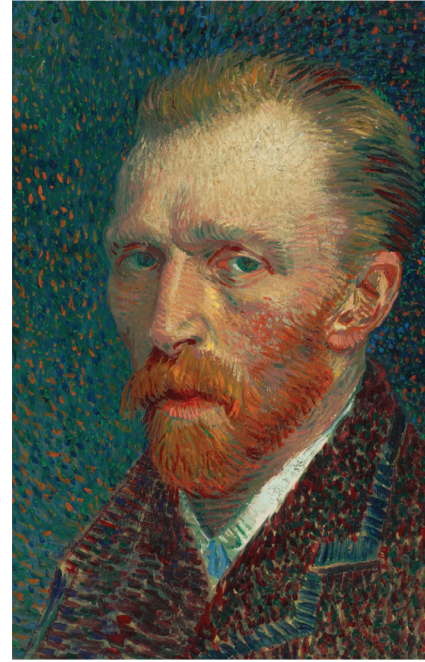
مستوحاة من اللوحة الشهيرة لـ"فان جوخ"؛ مع وجوب الإشارة إلى أنه قد كتب قبلها نصوصاً مسرحية أخرى مستوحاة من مصادر أخرى، مثل "الحب الأول في حياة نابليون بونابرت" الذي يستعين بأحداث وشخص حقيقتية، ولكن حواراتها متخيلة ومبنية على الافتراضات؛ وكذلك نص الفرنسي جي دو موباسان "الموتى لا يكتبون" والتي ظهرت بنفس العنوان؛ وهذه المرة ذهب للهولندي الذي عُرف بكثرة نوباته العقلية التي أدت إلى قطع جزء من أذنه اليسرى، وهلاوس سمعية وبصرية أدخلته مشفى الطب النفسي لاحقاً، ثم قادته إلى الانتحار برصاصة في الصدر، وهي نهاية طبيعية لشخص يمل تكرار رؤية وجهه في المرأة يومياً! لكنه ترك إرثاً فنياً للعالم، ما زال يُدرس ويُستعان به في إنتاج أعمال فنية أيضاً، كما فعل الفنان البحريني محمد حداد في ألبوم موسيقي عنوانه بـ"فنست"، ضمت مقطوعات مستوحاة من حياة ولوحات فان جوخ.

ولوحة (أكلي البطاطا) للفنان فينست فان جوخ، التي أنجزها في نويين بهولندا، واحدة من أهم لوحاته الفنية، قام المؤلف الشهابي باستنطاقها، والتي مزج فيها الشخصيات الخمس للوحة، بالإضافة إلى عشرين شخصية أخرى، تحرك أحداث المسرحية ذات الفصول الثلاثة. يظهر فان جوخ بشخصه عبر اسمه الأول "فنست" وسط المتظاهرين المتجمهرين الناقمين على البرجوازيين، بلوحته الخالية على حامل اللوحات الخشبية وأدوات الرسم، ومعبراً عن رفضه للعنف المادي، لكنه على استعداد لرسم العنف العاطفي أو النفسي المرتبط بإيمانه وقناعاته التي يحصل عكسها في

كيف للفرق بين الفقراء الذين لا يلقون قوت يومهم، بينما ينفق الأغنياء بإلقاء الفاضل في القمامة، مما يسبب "غليانا في النفوس"! وهذا يعني إدراك الأخير معنى الفروق الطبقة التي تسبب الحقد بين أفراد المجتمع الواحد، بين إفراط وتقتير، حياة أو لا حياة. ولنفس القناعة بإيجاد موضوع يصلح للوحة، كان البحث عن معنى تصوير الحرمان متقدماً عند فان جوخ؛ فيأخذ عدته الفنية المتصورة، وينتقل إلى ميدان إعدام، حيث سيعدم أحد اللصوص بتهمة سرقة بصلتين ودجاجة من حقل أحد التجار، وآخر لدين بقيمة تفاحة، بينما "المجرم" الثالث محكوم عليه بسبب تقبيل ابنة رئيس البلدية له! وهذا يدين السلطة التي تنفذ الأمر عبر أضلعها المتمثلة في العسكر.

شوارع نويين الهولندية. وكان ظهوره ضمن جمع المتظاهرين لرغبة منه في رسم لوحة يمتزج فيها الفقر والشقاء والتعب واليأس، لشعوره أنها ستكون "أروع وأجمل وأعظم لوحة تخطها ريشته على الإطلاق"، وهدفه النبيل كان واضحاً منذ البداية.

وفيما ينال ما ينال من سخيرية المشردين: كيف وألبرت؛ عن رسم ما لم يستشعره إلا ظاهرياً، وعبر بسيط وليس عن معاناة شخصية، لكنه يدافع عن إيمانه بحقوق الأفراد. ويغلب على الحوار بين المشردين وجوخ الفصل في اللغة المخاطبة؛ حيث عنى المؤلف إظهار صوتين مختلفين: بين الجهل والسطحية، والفن والعمق (1)، رغم بعض الجمل التي تنم عن فهم المشرد



ويمكن قبول المشاهد باللوحات السابقة على أساس تصوير الحياة الكادحة للعموم، لكن حين التقى لاحقاً في الحقل بالفلاحين الخمسة أبطال اللوحة الشهيرة مع جوخ، ورغم نية الأخير رسم ما يشعر به، إلا أن الطلب يأتي من الخمسة الذين يطلبون رسمهم؛ حيث يتعارض هذا واستعجالهم الحديث من أجل الانطلاق للعمل كل النهار حتى آخره، بل الأكثر من هذا خيال المؤلف حمد الشهابي الذي ترك تصميم اللوحة للفلاحين أنفسهم!

هل رسمت فلاحين قط؟/ إذا لا تتردد. لكن بوصلتك في اللوحة القادمة.. ألا يعجبك الأمر؟ ولا نريد منك مالا. فقط ارسمنا! (2). وعلى عكس المحادثة السابقة بين جوخ والمشردين، يبدو أن مستوى الثقافة من خلال هذا الحوار أعلى من كونهم كادحين لا يريدون في الحياة إلا اللقمة التي يقتاتون بها آخر اليوم؛ إذ يُصغر الرجل فكرة الفنان عن رسمهم في الحقل؛ لأنه -حسب النقاش السابق- اتضح أن جوخ يريد تصوير المعاناة، وليس جمال الصورة! لذا تقترح عليه المرأة أن يجمعهم على مائدة واحدة وهم يأكلون البطاطا! بل إن المؤلف اتجه إلى منحى مباشر أكثر، حين وضع على لسان المرأة الأخرى مقترح أن يسمى اللوحة (أكلي البطاطا)؛ لأنه فنان يبحث عن الموضوع "الناذر"، وهذا الحوار لا يتناسب والمنطق، نظراً لبساطة حياة الفلاحين المحدودة والبعيدة عن استشعار الجمال بهذه الصورة، بالإضافة إلى عدم معرفتهم المسبقة به وبفنه وتوجهه. ثم لاحقاً، في مونولوج فان جوخ، أنه وجد ضالته بالفعل في هذه العائلة، شارحاً فكرة اللوحة المعروفة كأنه يراها قبل أن يرسمها بالفعل. (3)

اختار المؤلف أيضاً أن يأتي بمكان مألوف لمحبي لوحات فان جوخ، وهو مكان نومه، حسب الوصف في اللوحة المعروفة "غرفة نوم في آرل" ذات الأرضية الخشبية والأبواب الزرق، التي امتزجت باللون الأصفر والبرتقالي المفضلين في لوحاته، ويضع المؤلف على لسان جوخ أيضاً، الذي يرى مستقبلاً باهراً يتكلم العالم عنه، وعن فكره وفنه، في حين أن لوحاته بالكاد تباع بمبالغ زهيدة عبر وساطة أخيه، وهذا الحوار يتم مع عامل النظافة في غرفته بالفندق الذي يقطنه! ويبدو أيضاً حواراً ثرياً بين اثنين من الفنانين، وليس مع عامل بسيط يطالبه بأجرة السكن حسب طلب

عن حديث مختلق بين طفلة تهديه وردة، وبين طفل يعمل في مسح الأحذية عرض عليه خدمته، تبين أنها من خياله الذي يرى ويسمع ما لا يكون عند الآخرين، وهذا ما يمهّد للوحة الأخيرة التي جاءت لتصف لوحة (أكلي البطاطا) كما عرفها العالم، الأزواج الأربعة والطفلة التي تعطي ظهرها للرائي، منح المؤلف اليشا -اسم متخيل- حرية اختيار المكان وترتيب الأشخاص، بل وحتى التفاصيل المتعلقة بمائدة البطاطا، وكذلك أظهر التفاصيل التي نعرفها، ولكن من زاوية أخرى، حتى اختلطت الرؤية للقارئ الذي يرى: هل هذا سرد، أم أضغاث مما يدور في ذهن الفنان؟

الواقع أن الشهابي هادن قارئه حتى النهاية؛ مؤرجحاً إياه بين ما هو حقيقي ومتخيل، والخيال كما أسلفنا لعبته المفضلة التي يجيدها ويعرف قواعدها، لذلك نجح في اللعبة، وكسبها؛ لأنه استخدم المادة الخام لذهنية فان جوخ، لا تصف أحداثاً حقيقة فتُحاكم، ولا يأخذها الخيال الخام، حيث الإفراط، فتتوه، وتظهر للمتلقي إبداعاً مستخلصاً من إبداع.

الهوامش

الشهابي، حمد، أكلو البطاطا، نصوص مسرحية، دائرة الشارقة، الطبعة 1، 2025م، ص 22-28.

المصدر السابق، ص 42.

نفس المصدر، ص 45.

نفس المصدر، ص 67.

عن حياة الفنان أنه عاني الأمرين في حياته، وما كان يؤرقه حقاً هو عدم تقدير فنه، ويتجلى هذا في محاولته بيع لوحاته على مدير الفندق لتسديد جزء من الإيجار، ويرفض الأخير هذه الصفقة التي يرى فيها اللوحات خردة لا قيمة لها!

كان جوخ مصاباً في جسده وذهنه، ومن الواضح أن الشهابي قد درس هذا الجانب جيداً؛ فاستدعى لوحاته التي رسمها في سنوات مختلفة، مثل الدكتور غاشيت/ صاحب الحذاء/ صاحب المقهى/ صاحب زهرة الخشخاش، وجسدها في شكل عناصر مادية وشخوص تحاور صاحبها كأنها الإلهام الذي يلح على المبدع حتى يظهر في صورته الحية المبعوثة من مخيلته، وكما طلب منه الفلاحون رسمهم في لوحة سابقة، كذلك فعل هؤلاء! وبناء عليه، حين نرجع إلى الحكم الأولي باستحالة أن يكون منطوق الفلاحين في الحوار المشار إليه سابقاً، وعليه؛ فهو ينطبق على مارسيل أيضاً وبقيّة الشخصيات الأخرى، إلا شقيقه ثيو؛ لارتباط وجوده بوجود المال الذي يعطيه لفان جوخ مقابل بيع لوحاته، وهو الذي يوجه النصيحة له بترك الفن والبحث عن وظيفة مستقرة تعطيه دخلاً ثابتاً، وهو حوار مألوف في حياة كل فنان قرر احتراف ما يحبه، في مقابل أن يخسر أساسيات آدمية للعيش.

ويتبين للقارئ، الذي يشك مع تطور الأحداث، امتزاج الحوارات، وتداخل الشخصيات رغم وضوحها، مثل الكشف

صاحب الفندق منه، ونفس هذا العامل "مارسيل"، يطلب منه الصبر لأنه في بداية عهده، وهذا هو الفارق الوحيد بينه وبين الآخرين الذين سبقوه، كذلك لغة الشخصية تعكس شخصاً مثقفاً وله رؤية، وهذا ليس استنقاصاً بالضعفاء أو ذوي المهن المساعدة، لكن هل يمكن أن يقول عامل تنظيف لفنان مثل فان جوخ عن لوحاته التي لم تكن معروفة حينها: "إنها إشعاع رائع خرج من عقلك، وتوهج على سطحها بعبقريّة فريدة يا سيد فنست..!" (4) وكان الأولى أن يمتدحه ببساطة المتذوق الشاك في ذوقه -لأن الفن ليس مجاله-، وبعبارات متألّفة مع شخصيته.

كذلك الجملة المرتبكة عند فان جوخ وهو يخاطب مارسيل: "بعد قليل، إما أنتحر، أو أذهب إلى أحد الحقول لكي أرسم لوحة.."، فهل هناك وجه تشابه بين الجمليتين؟؟ ولأنها لا تبدو جملة مازحة على النص، وأيضاً لأنه ليس بها توصيف مهياً. وعلى الرغم من الحديث المطول بينهما، وتنويه فان جوخ إلى عقلية مارسيل التي تجيد النقاش، إلا أن هذا لا يمنع ارتفاع اللغة المخاطب بها عن الشخصية.

ويظهر تأثر الشهابي بلوحات فان جوخ، عبر تصور حياته في لوحاته. فهي هو يظهر في النص، جالسا على كرسيه، يفكر، وواضعا يديه على جوانب رأسه، وهذه الاستعانة أيضاً تكبر رقعة الخيال عن أحداث لشخصية تاريخية غير موثقة التوثيق الذي نعرف، لكن الباحث يعرف

عن الرجال والبنادق



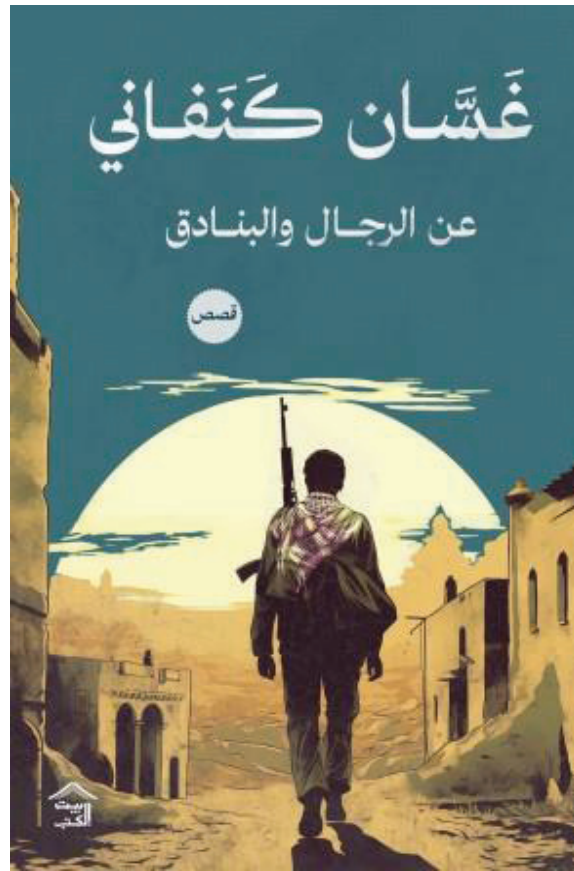
محمد دباس

هناك حادثة مثيرة للاهتمام ذكرها ذات مرة «فضل النقيب» صديق غسان كنفاني المقرب، جرت وقائعها في دمشق في بداية صيف عام 1959، تتلخص في طلب «الحكم دروزة» (أحد قادة حركة القوميين العرب آنذاك) الاجتماع مع النقيب وكنفاني، حيث أبلغهم «بأن اللجنة الثقافية في الحركة قد قررت تكليفهما بكتابة مجموعة من القصص القصيرة كي يتم طبعها في كتاب يتم توزيعه بشكل واسع وخصوصاً في المخيمات الفلسطينية». أنهى كنفاني كتابة ستة قصص خلال بضعة أسابيع، بينما استغرق الأمر مع النقيب بضعة شهور لينجز المهمة.

السلاح بإعتباره كومة حديد لا قيمة لها، ما لم يلازمها الوعي والإرادة والرؤية وتحديد الهدف الصحيح.

في «الرجال والبنادق» صور كنفاني بأسلوب رشيق سلوك ثلاث شخصيات: «منصور» - شاب في السابعة عشر من عمره - وأخيه الكبير الدكتور «قاسم» العائد للتو من دراسة الطب في بيروت والمقيم في حيفا (مخالفاً رغبة والده الذي كان يأمل بأن يفتح ابنه الأكبر عيادة في مجد الكروم في الجليل ليعالج الفلاحين)، وأبو القاسم الأب الصارم ولكن ذي الإحساس العال بالمسؤولية والواجب تجاه أسرته ووطنه. تدور الأحداث حول معركة صفد إبان نكبة 1948، وحماس «منصور» لنجدة المقاتلين الذين حوصروا هناك، مقابل إنغماس الدكتور «قاسم» في حياة فاسدة مع «إيفا» اليهودية في حيفا. لا يوجد في القصص تنظير لضرورة الكفاح المسلح ومبرراته الفكرية والسياسية: منصور يهرع إلى موقع المعركة بحس الفطرة السليمة لنجدة المقاتلين، والأب ينضم للقتال في نهاية القصة ويستشهد في ختام إحدى المعارك. في المقابل يوجه كنفاني سهام السخرية والنقد لشخصية الدكتور «قاسم» كنموذج للمثقف الانتهازي الذي لا يهتم إلا بمصلحته الخاصة وبملاذاته، ويتخلى عن أسرته وقريته ووطنه. وبمعنى من المعاني فإن كنفاني يقول: التعليم لا يصنع أناساً وطنيين بالضرورة، وأن الأخ الكبير لا يكون دائماً أفضل حكمة من الأخ الصغير، وهو بذلك يحاجج ضد أحكام سائدة في زمنه وزمننا أيضاً. وبمعنى آخر أيضاً يمكننا قراءة «عن الرجال والبنادق» بوصفها لوحات عن المعدن الأخلاقي للرجال الذين قاتلوا بالبنادق. بالطبع لم تقتصر معالجة ثيمة الكفاح المسلح على لوحات «عن الرجال والبنادق»، بل سنجدها في مختلف قصصه القصيرة التي كتبها في الخمسينات والستينات، والتي يمكننا الإشارة إلى خمس قصص منها على سبيل المثال لا الحصر.

في قصة «إلى أن نعود» التي كتبها في دمشق 1957، نرى وصفاً لحالة فدائي، يقطع صحراء النقب وسط لهيب الصحراء متجهاً في عملية فدائية إلى قريته المحتلة، حيث تتداعى إلى ذاكرته وقائع مجزرة إرتكبها



فهم يتقاتلون على احتياز بندقية، أو يدفعهم الفقر إلى الشجار على تفاحة تعفن معظمها.

تجدر ملاحظة أن كنفاني لم يقارب مسألة السلاح ودوره في الكفاح ضد المحتلين الصهاينة بوصفه ولعاً وهوساً بالعنف لمجرد العنف، بل بما تعكسه العلاقة مع السلاح من خصال ثورية للفدائيين، مثل الإرادة الصلبة، والعزيمة والإيمان بعدالة القضية التي يناضلون من أجلها. لذلك فإن ما يشكل بؤرة إهتمام كنفاني في قصصه القصيرة، هو طبيعة الخصال البشرية المرتبطة بمن يحملون السلاح من الفدائيين والمقاومين. وكما لاحظ بحق الكاتب الفلسطيني خالد بركات فإن كنفاني «نظر إلى

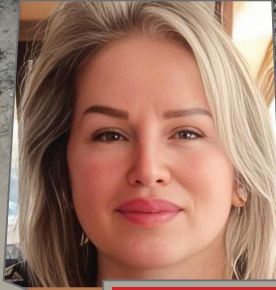
نستخلص من هذه الحادثة دالتين: أولاً وعي الحركة المبكر بأهمية القصة القصيرة كسلاح ثقافي للمقاومة، وثانياً أن الجمهور المعني هو جمهور مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بالدرجة الأولى. بعد بضع سنوات، في إبريل 1965 أنهى كنفاني كتابة سلسلة من القصص القصيرة على صيغة مشاهد ولوحات مستوحاة من كفاح الشعب الفلسطيني إبان نكبة 1948، ولاحقاً بعد نسخة 1967، كتب مشاهد إضافية مستوحاة من حياة المخيمات. نشرت تلك المجموعة من القصص القصيرة لاحقاً تحت عنوان «عن الرجال والبنادق».

إدراك هذه الحقائق مسألة مهمة، لأنها تمنح سياقاً مناسباً، بإعتقادي، لفهم لغة وأسلوب تلك القصص القصيرة، البسيطة في حبكةها، ولكن العميقة في دلالاتها الإنسانية. جمهور قراء كنفاني الأساسي كان جماهير مخيمات اللاجئين في مختلف أماكن الشتات الفلسطيني، وكانت تلك القصص بمثابة «سلاح» ذي أثر مهم في رفع الوعي النضالي، وإذكاء شعلة الأمل لديهم، خاصة وأن غالبيتهم كانوا شهود عيان على أهوال نكبة 1948، ويعرفون جيداً أحداث تلك الحقبة بتفاصيلها وشخصياتها، وحين كتب كنفاني قصصه تلك لهم، لم يتساهل في أسلوبها الفني، كما لم يبالغ في وصف وقائعها بحماس مبالغ فيه على غرار أفلام الإثارة الحربية.

ما يجذبنا إلى قصصه تلك طبيعة الشخصيات التي تتضمنها. الكاتب والناقد الراحل إحسان عباس أورد ملاحظة ثاقبة في كتاب «غسان كنفاني إنساناً وأديباً ومناضلاً» بقوله: «من يقرأ قصص غسان يدرك دون عناء أن اشخاصه من أبناء الشعب البسطاء، وكثير منهم أطفال أو شبان يعملون بدافع من صدق الفطرة، دون أن يبلغوا سن «الحكمة» وليس فيهم من يحاول أن يفلسف الدور الذي يؤديه أو الغاية التي يسعى إليها. فمنهم من يضحي بحياته دون أن تمرّ بخاطره «لم»؟ ومنهم من يتحمل عبء العائلة الكبيرة التي خلفها له أبوه والتشرّد معا دون أن يتذمر، ومع ذلك فإنهم في هذه المواقف ليسوا سلبيين، كما أنهم ليسوا أطهاراً كالملائكة،



تحولات المعنى



سميا صالح *

تحوّلت صرخاتُ المدن القديمة
إلى موسيقى تصويرية لألعاب الفيديو...
تحوّل الشهيد إلى ملصق على حائط الصفّ
يضحك منه الأطفال دون أن يعرفوا الاسم

تغيّرت الحرب
صار السلام إعلاناً تجارياً
وصار القاتل بطلاً في فيلم وثائقي
وصار الهارب من المجزرة لاجئاً في الحلم

تغيّرت المعاني
فالأم التي دفنت طفلها
تكتب الآن خواطر عن الأمل
والنهر الذي كان شاهداً على الدم
صار يُروى في كتب السياح

صرنا بلا دموع نشيع الغياب
وبلا ندم نُعيد ترتيب الخراب
وبلا سبب نُبرّر النشيد

* شاعرة سورية

وحاول أن تطلق! " ليستشهد بعدها. عند سعيد الحمضوني لا توجد حدود للتضحية من أجل الوطن. هناك أيضاً نموذج الفدائي الفيلسوف كما سبق وأن تطرقنا لها في حلقة سابقة لدى إستعراضنا لقصة "قرار موجز". وأخيراً هناك تلك القصة الجميلة التي كتبها كنفاني في بيروت عام 1961، ونشرها تحت عنوان "لا شيء". يلعب غسان كنفاني هنا على وتر السخرية اللاذعة من موضوع حساس آنذاك - والآن -: حرس الحدود في البلدان العربية المتاخمة للكيان الصهيوني. وهي: الأردن، لبنان، سوريا، مصر. تحكي القصة عن جندي حدود في أحد تلك البلدان يطلق النار على الأرض المحتلة فيقتل اثنين من الصهاينة.

يُلقى القبض عليه من قبل سلطات بلاده، ويقتاد إلى مستشفى الأمراض العصبية تحت حجة أنه مريض بانهايار عصبي رغبة من السلطات في إيجاد عذر مقبول لتصرفه ذاك، تفادياً لأي نزاع مسلح مع العدو الصهيوني. في الطريق إلى المستشفى يدور حوار بين المتهم والممرض حول مرض الانهايار العصبي. ببراعة فنية مذهلة يصيغ غسان كنفاني الحوار بين الاثنين بطريقة تسخر من تهمة الانهايار العصبي، وكأن غسان عبر ذلك الحوار يريد أن يقول لنا إن ما فعله ذلك الجندي هو السليم عقلياً (فعل المقاومة) وما سواه هو الذي يتنافى مع متطلبات العقل السليم. تعبير "لا شيء" يرد في ختام القصة، كردة فعل من قبل المتهم عندما فهم منطق السلطة: «أنا مصاب بهذا الشيء المتعلق بالأعصاب لأنني تعمّدت أن أطلق الرصاص... أليس كذلك؟ .. أجل .. وهم ليسوا مصابين بذلك الشيء الخطير المتعلق بالأعصاب لأنهم بتعمدون أن لا يطلقوا الرصاص... أليس كذلك؟... أجل، ماذا تريد أن تقول؟... ماذا أريد أن أقول؟ أوف! لا شيء.... لا شيء...»

لخص كنفاني في هذه القصة حجته القائلة بأنه من الجنون أن لا تقاتل الجيوش العربية (وحارس الحدود رمز بليغ لقربها من دولة الاحتلال)، وأن امتناعها عن فعل المقاومة هو ما يسبب الانهايار العصبي لجندي الحدود في القصة. غسان يصيغ فكرته بقلب فني ماهر، وهي فكرة مشروعية الكفاح المسلح ضد المحتل، وتوافقه مع منطق العقل السليم. أما منطق السلطات الرسمية فهو منطق "لا شيء". لا مقاومة يعني بالضرورة لا وجود لعقل سليم، يعني لا شيء!.

الصهاينة عندما اقتحموا مزرعته وقتلوا زوجته. فيملاً الغضب كل كيانه ويمنحه طاقة لانتضب لمواصلة القتال مما يثير دهشة قائده الذي يسأله: «إلى متى تحسب أنك تستطيع أن تواصل على هذه الصورة؟ قال وهو يسند رأسه على كيس المتفجرات: «إلى أن نعود...». تطرح القصة مبررات وأفق الكفاح المسلح من منظور الفدائيين وقدرتهم على المثابرة في النضال.

أما قصة "شيء لا يذهب" التي كتبها غسان كنفاني في دمشق أيضاً في عام 1958، فهي مستوحاة من ذاكرة الراوي عن الشابة "ليلي" التي قاومت الاحتلال الصهيوني ببسالة، وكانت "تتعذب في سبيل أن تفهمني أن حياتنا ليست شيئاً... وأنها تبلغ ذروة قيمتها لو قدمت من أجل سعادة آلاف غيرنا... وكانت مغرمة بمقطع شعري ينسب لعمر الخيام: «آه أيها الحب... لو أستطيع أنا وأنت أن نتفق مع القدر... كي ندمر هذا الطابع الوحيد للعالم... إلى قطع صغيرة... ثم نعيد بناءه من جديد... كما تشتهي قلوبنا...».

وفي قصة "المدفع" كتبها في دمشق 1957، نرى غسان يعالج شخصية الفدائي كما تجسدت في «سعيد الحمضوني»، الذي وصف ملامحه وكأنها منحوتة فنية نموذجية لوجه الفلاح الصلب: «وجهه المربع يعترضه حاجبان يتصلان ببعضهما بأخدود يعين طرف أنفه العلوي وأنفه المفلطح تدور بأسفله دائرتان واسعتان فوق شارب رمادي كثيف، يتدلى فيخفي شفته العليا... أما ذقنه فقد كانت عريضة حادة. كأنها قطعت لتوها من صدره: ومن ثم، بردت رقبته الثخينة برداً». الحمضوني رجل فلاح من القرية على الأرجح في الخمسين من عمره. هذا الوصف الجسدي يكمله غسان بوصف مقتضب للشخصية: «نادراً ما يتكلم عن ماضيه. إنه دائماً يتحدث عما سيأتي.

وما ينفك يعتقد أن غداً سيكون أحسن من اليوم». إنه فدائي دائم التفاؤل، يمتلك رؤية نحو المستقبل، ناكراً للذات. بذل دمه مرتين، مرة حين تبرع بدمه في إحدى المستشفيات ليوفر نقوداً تمكنه من شراء السلاح، والمرة الثانية حين شنّ الصهاينة هجوماً مفاجئاً ضد قريته، وهرع للمدفع بعد أن سمع من أحد الرجال أن العطب قد أصاب السلاح. وفي محاولة يائسة يقوم بعمل شبه إنتحاري، وسيطلب من رفيقه "إسمع سأشدّ الماسورة إلى بطن المدفع بكفي،



التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن - مدير التحرير: فاضل الحليبي - سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

التقدمي العدد 211 - يونيو 2025 السنة 23 SDPA 499

نصوص من وحي الأول من مايو



كريم رضي

ستكبر وستغفر لي هذا العقوق

ضرائب ترامب

ذوقوا بعض ما نذوق أيها الوحوش

لم تكونوا أفضل حالاً قبل ترامب

ولن تكونوا كذلك بعده

يحسب لهذا المتعجرف الفاجر أنه يعلمكم كيف

تخسرون

ولو قليلاً من الزمن

قبل أن تنتقموا منه فينا

سقوط

عندما كانت الغطاء الحديدي الضخم يسقط على

رأس العامل الغافل

لم يشاهد غير ظل على الأرض

يكبر يكبر يكبر ي ك ب ر

وصية عامل

يا صديقي أنا أعلم أنني سأموت

لأنني أعالج سرطان الرئة بالبندول

المواعيد متباعدة جداً في المستشفى الوطني

والطب الخاص أعلى ثمناً من سعر شقتي

هل تظن يوماً أن النقابة ستحقق حلم التأمين

الصحي ؟

رسمنا نوتات موسيقاها على خشب الأعواد وقصب

النايات

وبقيت انت لم تصل

ونحن ننتظر

وردية ليل night shift

زوجتي البعيدة في مدينة أخرى

ها أنا المس الآلة الصماء

في هذه اللبلة الشاتية

الحديد بارد جداً

وانت دافئة معطرة بالنعناع

وعارية في سرير لا ينال

سيقترب الفجر وتنتهي الوردية

وسأكون مستعداً تماماً

رسالة عامل مهاجر

انت تعلم يا صغيري

أنه في البلاد الأخرى

حيث أعمل

هناك رفاهية أن يقبل الأب ولده

ويصحبه إلى الروضة

هذا ترف يزيد عن حاجتنا

اعلم إنك صغير

لكن اعتن بأمك

في العام القادم ستدخل المدرسة

ولن أكون موجوداً لأصحبك إليها

انت أصغر من أن تعرف لماذا

حديث الشمس

يسمونني النجم الأكبر

مصدر الضوء

سر الحياة

لكن ما قيمة الشروق دون هذه الياقات الزرق

اللامعة في صباحات المعاش

تعطي الفجر زرقة الأمل

ما قيمة الغروب دون عامل يعود إلى عائلته يحمل

نصيبهم من هدايا اليوم

أنا الشمس ولكني وحيدة وقليلة

دون هؤلاء الذين يصنعون مني شنوسا كثيرة

عامل الحفريات

أبناء الكلب التكنولوجي

أما كان عليهم أن يخترعوا الذكاء الاصطناعي ليحفر

هذه الطرقات المهلكة

بدل أن يجعلوه وسيلة العمالة المدللة في مكاتب

الرفاهية

أبناء التكنولوجيا الذين لا اب لهم

أما كان عليهم أن يكونوا اذكاء بما يكفي

لفهم روح صديقي المغادرة في حفرة أعمق كثيراً من

عقولهم المسطحة

عبد الله حسين

جهزنا أعلام المسيرة

وأغانيتها

كتبنا خطبها على أوراق الروح